نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم

من خلال كتاب

"الأساس في التفسير"

للشيخ سعيد حوى رحمه الله

إعداد

أحمـد بن محمد الشرقاوى
أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر
وكلية التربية للبنات بالقصيم

محتويات البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

{الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا } [1]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وخليله ، بعثه بعد دروس [2] السبل ، وطموس الملل ، وعبادة الأوثان ، وكثرة الطغيان ، فقام لدين الله ناصحا ، ولمعالم الشرك فاضحا ، ولعبادة الأصنام قامعا ،ولملة الإسلام شارعا، وعن الآفة بريا ، وفى الحق قويا ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اختارهم الله وطهرهم ، وأصحابه الذين اجتباهم وآثرهم ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين 0

****

- ثم أما بعد : فإن أعظم العلوم مقدارا، وأرفعها شرفا ومنارا ، وأعلاها على الإطلاق ، وأولاها تفضيلا بالاستحقاق ، وأساس قواعد الشرائع والعلوم ، ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم ، وأعز ما يرغب فيه ، ويعرّج عليه ، وأهم ما تناخ المطايا لديه : هو علم التفسير لكتاب العليّ القدير؛ لكونه أوثق العلوم تبيانا ، وأصدقها قيلا، وأحسنها بيانا ، وأكرمها نتاجا وألمعها سراجا ، وأفصحها حجة ودليلا ، وأوضحها مَحّجة وسبيلا ؛ وشرف العلوم بشرف المعلوم ، والمعلوم هنا هو كتاب الله تعالى الذي { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } [3] أنزله الله على قلب رسوله الكريم { هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان }[4]

---

[1] - سورة الكهف : 1 : 3

[2] - درس السبيل دروسا من باب قعد :عفا وخفيت آثاره 0

[3] - سورة فصلت :42 0

[4] - سورة البقرة : 185 0

وضمن الله لمن آمن به وعمل بما جاء فيه السعادة في الدارين ، قال تعالى { فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ،قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى }[5]

****

ومن ثَمّ كان علم كتاب الله تعالى والعمل به هو أولى ما يتنافس فيه المتنافسون وأحرى ما يتسابق فى حلبة سباقه المتسابقون 0

ولقد نبغ في عصرنا هذا مفسرون ،أقبلوا على كتاب الله تعالى بعقولهم وقلوبهم وعكفوا على تلاوته ودراسته ،ثم قدموا نهاية تجربتهم ،وخلاصة علمهم وعصارة فكرهم ، فخرجت تفاسيرهم في أبهى صورة وأحسنها ، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء والشيوخ الفضلاء العالم العامل الشيخ سعيد حوى رحمه الله - صاحب كتاب الأساس في التفسير وصاحب أول نظرية شاملة حول " الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم "

وهذا بحث أقدمه للقراء الكرام حول هذه النظرية : وهي جزء من دراستي حول هذا التفسير تلك الدراسة التي حصلت بها على درجة التخصص الماجستير من جامعة الأزهر عام 1414هـ وقد طبعت جزءا كبيرا منها ونفذت تلك الطبعة ، وبدا لي أن أقدم لب هذا الموضوع للقراء الكرام وهو نظرية الوحدة الموضوعية ، سيما وقد أشرت إليها في بحثي عن موقف الإمام الشوكاني في تفسيره من المناسبات ولقد اتصل بي بعض القراء الكرام من بعض الأقطار الإسلامية الحبيبة طالبين نسخة من بحثي عن النظرية فبادرت بتصويره وإرساله ، ونظرا لكثرة الطلب فلقد رأيت أن أعيد صفّه على الحاسوب وإرساله إلى بعض المواقع العلمية

---

[5] - سورة طه : 123 :126 0

المتخصصة ونشره ليكون متاحا لجميع المعنيين والمهتمين بهذا المجال ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

كتبه
أحمد محمد الشرقاوي
عنيزة – كلية التربية للبنات
Sharkawe2000@yahoo.com
18 رمضان 1425هـ

التمهيد : ويشتمل على :

- الشيخ سعيد حوى حياته وعلمه
- مقاصد التفسير وسماته وطريقته

- الشيخ سعيد حوى حياته وعلمه

أولا : نسب الشيخ سعيد
ثانيا : مولده ونشأته وتربيته وتعليمه
ثالثا : مرحلة ما بعد الجامعة
رابعا : أحداث الدستور
خامسا : محنته ....وهجرته
سادسا : رحلاته
سابعا : مرضه ووفاته

التمهيد

• الشيخ سعيد حوى حياته وعلمه

* نعرض هنا بصورة مجملة لحياة الشيخ سعيد حوى موضحين الخطوط العريضة والأحداث الهامة في حياته أما التفصيلات الدقيقة فسوف نكتفي بالإشارة إلى مواضعها لمن أراد المزيد من البيان .

أولا : - نسب الشيخ سعيد

هو الشيخ سعيد بن محمد ديب حوى ، يرجع نسبه كما حكي عن نفسه إلى آل البيت ، حدثه بذلك أحد أقاربه وسمع ذلك عن كثير من كبار أسرته،
يقول الشيخ سعيد : [تصل أسرتي بنسب إلى أسرة أخرى في الحي هي أسرة - برى - ورواية الأسرتين تتضافر على أن ثلاثة أخوة أصولهم عربية وفدوا إلى حماة وقطنوا فيها ، ومنهم تفرعت الأسرتان ، وتتضافر روايتا كبار الأسرتين على أننا من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وقد حدثني - حاج محمود برى - ولا زال حيا أثناء كتابة هذه السطور - أنه ورث في أوراق أسرته شجرة النسب ، وأن نسب الأسرة ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلك رواية أسرتنا ، والجميع (6) مجمعون على أن نسبينا واحد] . (7)
ويقول الشيخ سعيد مؤكدا ما ذكره آنفا : [وقد حدثني الوالد أننا ننسب إلى قبيلة النعيم المشهورة وهي (8) قبيلة ينتهي نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو مشهور ، ولم تتح لي فرصة التحقق من هذه الروايات والناس مصدقون

---

[6]- الجميع هنا يعنى الأسرتين

[7]- هذه تجربتي وهذه شهادتي للشيخ سعيد حوى ص 7 ط مكتبة وهبة الطبعة الأول

[8] - قبيلة النعيم : قبيلة مشهورة سكنت بادية الشام ومراكزها الرئيسة في حلب وأدلب وحماة . يراجع معجم قبائل العرب للأستاذ عمر رضا كحالة ج5 ص 263 ط مؤسسة الرسالة ط 3 1982 م وما ذكره الشيخ سعيد من امتداد هذه القبيلة وصلتها بآل البيت يحتاج إلى بحث وتوثيق ، ولقد اجتهدت في البحث عن هذا الأمر في كثير من كتب الأنساب فلم أقف على شئ في امتداد القبيلة وأصولها والله أعلم 0

بأنسابهم ، وأما أسرة والدتي فتنسب إلى عشيرة الموالى (9) ، وهي عشيرة مشهورة تسكن بادية الشام كما حدثني بذلك ابن خالة لي نقلا عن والده] (10) .

ثانيا : مولده ونشأته وتربيته وتعليمه

- ولد الشيخ سعيد في حماة بتاريخ 27 سبتمبر 1935 م الموافق 26 جمادى الثاني 1354هـ في حي العليليات جنوب حماة ، بسوريا

- عاش في كنف والده ، وهو مرب من خيرة الرجال الشجعان المجاهدين ضد الفرنسيين وتوفيت والدته وهو في السنة الثانية من عمره وتربى في كنف جدته ، وكانت مربية فاضلة يحبها وتحبه . (11)

وكان لها دور عظيم في تربيته، وكان شديد التعلق بها كما كانت تفيض عليه من حبها وعطفها ،أما والده فلقد كان له أثر فعال على شخصيته ؛ فلقد عوده على المسئولية من صغره ، وعلى تحمل التبعات ، وغرس فيه حب التضحية ، والمروءة ، والصدق ، والوفاء ، والكثير من المعاني السامية التي تحلى بها الشيخ سعيد وأثرت عنه ،

يقول عن أبيه:[أعتبر والدي مربيا ناجحا فهو يمتلك قدرة عجيبة على غرس المعاني التي يريدها في نفوس أبنائه كما أنه قادر على أن يحملهم على ما يريد] . (12)

* دخل الشيخ سعيد المدرسة مبكرا ، ولكنه سرعان ما خرج منها وهو في الثامنة من عمره ؛ أخرجه والده لأنه لا يستطيع الإنفاق عليه، ولأنه كان بحاجة إلى مساعدته في عمله في سوق الخضار كبائع

---

9 - عشيرة الموالى مراكزها في سوريا ولها امتداد في العراق [المرجع السابق ج 5 ص 243 .

10- هذه تجربتي وهذه شهادتي ص 7

11- نفس المرجع والصفحة .

12- المرجع السابق ص 11

بالجملة ،ولكن عمله في التجارة لم يشغله عن القراءة والاطلاع ، إلى أن عاد مرة ثانية إلى المدرسة ؛ ليحصل على الشهادة الابتدائية .
- حفظ القرآن الكريم مبكرا وراجعه على كثير من القراء في حماة حتى أتقنه حفظا وتلاوة ، ولم ينقطع عن العمل مع والده فيسوق الخضار في مهنته كبائع بالجملة ، بل إنه مارس مع والده نشاطا آخر وهو الزراعة .
يتحدث الشيخ سعيد عن هذا الأمر فيقول : (في هذه الفترة - المرحلة الثانوية من الثامنة عشرة إلى العشرين)- دخل في عملي الحياتي مهنة أخرى وهي مهنة الزراعة وهكذا أصبحت أشارك في عملين حياتيين مع والدي : حرفته في سوق الهال - أي في سوق
البيع بالجملة- وحرفته في الزراعة ؛ فقد ارتفع سعر القطن في سوريا ارتفاعا أغرى الكثيرين بالزراعة عامة ، وبزراعة القطن خاصة .... المهم أن الوالد اندفع في هذا الموضوع واستأجر أرضا قريبة من حماة ....وشاركت في العمل على مدى سنتين وكان لذلك فائدته الكبيرة] . [13]
*نذكر هذا لنؤكد أن هذه الأعمال لم تشغل الشيخ سعيد عن رسالته السامية ؛ فلقد   جمع بين تلك الأعمال وبين الدراسة النظامية وبين مدارسة العلماء وملازمتهم في حماة ، إلى جانب إطلاعا ته المتنوعة وقراءاته المتوسعة ، إلى جانب مراقبته للأحداث الجارية في سوريا عن كثب ومتابعته للأحداث الواقعة في حماة عن قرب ،
ومن يقرأ في كتابه هذه تجربتي خصوصا وفي كتبه عموما ويرى كيف تناول الشيخ سعيد هذه الأحداث التي عاصرها وشاهدها وكيف يعقب عليها بقلمه السيال وبعقله الحاضر لأدرك تفاعله مع الأحداث

13- المرجع السابق ص 25 بتصرف

وتعايشه فيها واهتمامه لما يجرى للمسلمين ليس في سوريا فقط وإنما في كل مكان 0
*عاصر في شبابه أفكار الاشتراكيين [14] والقوميين [15] والبعثيين [16] والإخوان [17] وانضم إلى جماعة

---

[14] - الاشتراكيون هم المنتمون إلى الاشتراكية وهى بوجه عام: نظام اجتماعي وسياسي يقوم على أساسين هامين أ- الملكية العامة لوسائل الإنتاج فتصبح ملكا للدولة أو لهيئات تعاونية ب - توزيع الثروة على حسب الطاقة والعمل والإنتاج، والاشتراكية الماركسية هي التي جاء بها كارل ماركس وانجلز وأطلق عليها الشيوعية، وهى إضافة لما سبق ذكره ترفع شعارات براقة مثل الدعوة إلى إلغاء التفرقة العنصرية وتحرير المرأة، كما تقوم على التفسير المادي للتاريخ بمعنى أن البشرية مسيرة في مختلف أطوارها بتأثير المادة فقط ، وعلى هذا فهي لا تعترف بالأديان ،ولا بالأمور الغيبية لأنها لا تقر إلا بالمادة المحسوسة ، وقد انهزمت هذه الأفكار والنظريات الفاسدة أمام الإسلام وانهارت وانتكست بعد أن حكمت أماكن كثيرة في العالم بالحديد والنار، يراجع (انهيار الشيوعية أمام الإسلام) للدكتور سعد الدين صالح ط دار الأرقم ويراجع كتاب لماذا أسلمت؟ للمفكر الفرنسى روجيه جارودى ط مكتبة القرآن 1986 م.

[15] - القوميون هم دعاة القومية التي تبنى على أساس الوطن أو العرق والدم أو اللغة ، ودعاة القومية العربية هم الذين يدعون إلى عصبية قائمة على أساس اللغة أو الوطن لا على أساس الدين ؛ فهم يتنكرون للدين ويدعون إلى فصله عن الدولة ، كما يعتبرون الدعوة إليه دعوة رجعية، والحقيقة أن الدعوة إلى القومية دعوة مشبوهة ، وافدة إلينا من الغرب ، وقد حاربها الإسلام وسعى إلى القضاء عليها باعتبارها سمة من سمات الجاهلية ومظهر من مظاهرالتفرقة والعنصرية والتمييز بن البشرية ، قال تعالى :(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات: 13 ، وقال (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فعبدون) الأنبياء 92 وفي الحديث الذي رواه ابو سعيد الخدرى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى،ولا لأبيض على أسود ،ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، كلكم لأدم وآدم من تراب)0
رواه الهيثمى في مجمع الزوائد وقال رواه الطبرانى في الأوسط ، والبزار في مسنده ورجال البزار رجال الصحيح(مجمع الزوائد ومتبع الفوائد للحافظ الهيثمى ج 8 ص 84)
- يراجع حركات ومذاهب في ميزان الإسلام للأستاذ فتحى يكن ص 91 ط مؤسسة الرسالة ط7 - 1407 هـ 1987 م .

[16] - البعثيون:هم أنصار حزب البعث ، يقول عنه الدكتور على جريشة [نشأ حزب البعث منذ حوالى ثلث قرن على كتف اثنين أحدهما (نصيري والآخر ناصري) - يقصد بكلمة نصيري أي من النصيرية وهى إحدى الفرق التي ظهرت في العهد الفاطمي الذي شجع على ظهور كثير من الملل والنحل والخرافات والبدع في الإسلام واشتهرت هذه الفرق بالتخاذل والتقاعد عن نصرة دين الله فضلا عن مناصرتهم لأعداء الله قديما وحديثا واجتهادهم في

الإخوان 1952 م الموافق 1372هـ وهو في الصف الأول الثانوى (1) [18]
- لقد تعددت موارد الشيخ سعيد حوى وكثرت مناهله ، فاستفاد من المطالعة ، ومن الدراسة النظامية ، ولازم الشيوخ ، وتابع حلقاتهم العلمية ، وانخرط في صفوف الإخوان وفي ذلك يقول : عن المرحلة

الوصول إلى السلطة ما اتخذوا إلى ذلك سبيلا، ولقد سجل التاريخ صفحات قاتمة في تاريخهم وسطر بدماء الأبرياء فضائحهم ومذابحهم ومخازيهم وخياناتهم للدين والأوطان ولقد ضم حزب البعث منذ نشأته طوائف غير إسلامية ، يقول الدكتور على جريشة :(ولم يضم هذا الحزب من أهل السنة إلا العاجز التافه) ، ولقد ولد هذا الحزب وترعرع في غضون الاحتلال الفرنسي الذي احتضنه وتبناه ، وقام هذا الحزب وساد على أساس الانقلابات العسكرية ، وترعرع في جو الإرهاب والتصفيات الدموية ، وتقوم مبادئ هذا الحزب على هذه الشعارات البراقة : الوحدة ، الحرية ، الاشتراكية ولقد ساد هذا الحزب في العراق وسوريا يراجع حاضر العالم الاسلامى د. على جريشة مكتبة وهبة1991 م 1411 هـ ط 4 كما يراجع العالم الإسلامى والمكائد الدولية فتحي يكن ط الرسالة 1403 هـ ط2

[17] - الإخوان المسلمون : تأسست هذه الجماعة في ذي القعدة 1324 هـ 28مارس1928م في مدينة الإسماعيلية بعد اجتماع في منزل مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا رحمه الله ، وقد ضم هذا الاجتماع ستة من الذين استمعوا إلى خطب الشيخ وتأثروا به ، وتبايعوا على أن يحيوا إخوانا عاملين للإسلام ومجاهدين في سبيله، وتقوم أركان الدعوة عند الجماعة على : العلم والتربية والجهاد ، كما بين ذلك الشيخ حسن البنا بقوله :(إني لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ، كما لا أريد أن تكون الدعوة محصورة في نفر من المسلمين ولا في ناحية من نواحي الإصلاح ، ولكنى حاولت جاهدا أن تكون دعوة عامة ، قوامها العلم والتربية والجهاد ،وهى أركان الدعوة الإسلامية الجامعة (المؤتمر الخامس ص259 من مجموعة الرسائل ط دار الشهاب] - وعن هذه الأركان الثلاثة يقول الشيخ سعيد حوى في كتابه المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين [...فبدون علم بجوانب الثقافة الإسلامية وأصولها تبقى الشخصية معرضة للزلل العلمي ، والنظري ، والفكري ، وبدون التربية لا يتحقق المراد الأول بالدعوة ،وهو إرادة وجه الله وطلب مرضاته، وبدون الجهاد لا يتحقق هدف من أهداف الدعوة، وباجتماع هذه الأركان الثلاثة يكون التعامل في الدعوة على كل مستوى والوسيلة إلى تحقيق هذه الأركان في الجماعة هي 1 - نظام الحلقات لتحقيق ركن العلم 2 - نظام اسر التكوين لتحقيق ركن التربية 3- نظام اسر العمل لتحقيق ركن الجهاد، هذا وتتسم دعوة الإخوان بالشمولية والوسطية والتكوين العميق والتنظيم الدقيق والأساليب الدعوية والتربوية الهادفة والفعالة ، ولقد قدمت هذه الجماعة الكثير من الإنجازات منذ نشأتها ؛فلقد كان لها دور فعال في مقاومة الاحتلال البريطانى ، فوجهت ضربات قوية وحاسمة للجيوش البريطانية ، وتحركت كتائب الإخوان نحو فلسطين لتلقن اليهود دروسا لم ينسوها ،ولتحقق انتصارات باهرة كادت أن تسحق اليهود وتشتت شملهم وتفرق جمعهم لولا خيانة أشياعهم وتدخل أوليائهم .
* ولقد ابتلى الإخوان بمحن كثيرة على أيدي الطواغيت ، (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) آل

الثانوية : [بقيت مطالعتي في هذه المرحلة كثيرة ، ولكن المعلم الضخم في حياتي هو دخولي في (الإخوان المسلمين) أواخر العام الدراسي وأنا في الصف الأول الثانوي] . [19]

- وجمع الشيخ سعيد حوى بين الأخذ من التصوف متجنبا ما شابه من انحرافات وشطحات [20]

- كما نهل من معين السلف الصالح حتى ارتوى فروى .

* هذه صورة من حياة الشيخ ، والمؤثرات من حوله .

وبهذه الصورة السالفة الذكر، وبتلك المؤثرات تكونت شخصية الشيخ سعيد فجمع بين حب العلم والحرص عليه وبين الاهتمام بأحوال المسلمين والسعي وراء وحدتهم ، وقوتهم .

ثالثا : مرحلة مابعد الجامعة

عمران : 146، وما زالت هذه الجماعة تؤدى دورها في الدعوة الإسلامية لا في مصر وحدها وإنما في كثير من الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف: 21 .

يراجع في هذا الموضوع :

- الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة للأستاذ إسحاق موسى الحسيني - دار بيروت للطباعة والنشر بدون تاريخ .
- كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث محمد علي الضناوي ط الجماعة الإسلامية جامعة القاهرة 1398 هـ 1978 م جامعة القاهرة .
- المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمون للشيخ سعيد حوى ط وهبة .
- في آفاق التعاليم للشيخ سعيد حوى ط وهبة
- حسن البنا حياة رجل وتاريخ مدرسة للأستاذ أنور الجندي دار الطباعة والنشر الإسلامية .
- مذكرات الدعوة والداعية حسن البنا المكتب الإسلامي بيروت 1394 هـ 1974 م
- الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ محمود عبد الحليم دار الدعوة بالإسكندرية 1399 هـ 1979م .
- الإخوان المسلمون في حرب فلسطين كامل إسماعيل شريف ، الدكتور مصطفي السباعي ط دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا د .يوسف القرضاوى مكتبة وهبة 1399هـ 1979 م
- وسائل التربية عند الإخوان المسلمين د . على عبد الحليم ط دار الوفاء بالمنصورة .

[18] - البطاقة الشخصية لسعيد حوى بقلم محمد سعيد حوى - رسالة خطية .

[19] - هذه تجربتي ص 25

[20] - البطاقة الشخصية بقلم محمد سعيد حوى ،

- تخرج الشيخ سعيد من جامعة دمشق - وحصل على الإجازة العالية من كلية الشريعة 1961 م 1381 هـ ودخل الخدمة العسكرية 1963 م 1383 هـ وتزوج 1964 م 1384 هـ ورزق بأربعة أولاد هم محمد أحمد ومعاذ وشقيقتهم الرابعة وذهب الشيخ سعيد إلى السعودية فقضى هناك خمس سنوات (1966 م : 1971 م - 1386 هـ 1391 هـ) وفيها ألف (الأصول الثلاثة) [21] ، (وجند الله ثقافة وأخلاقا) ، وقام بإلقاء المحاضرات هناك في المعاهد العلمية والجامعات وفي المدارس والمنتديات فكان لها صدى واسع 0 [22]

رابعا * أحداث الدستور

وشارك الشيخ سعيد مشاركة رئيسة وفعالة في أحداث الدستور 1973 م 1393 هـ

وكان هذا الدستور يهدف إلى فرض النظام العلماني على سوريا وما يستلزمه ذلك من تبعات على الفرد والمجتمع والنظام ...

* قرأ الشيخ سعيد موضوعات - الدستور ، فقرر انه يجب العمل لوقف هذا الدستور ، ولكن ماذا يفعل وسط هذا الخضم الهائل والتيار الجارف ؟

لقد أدرك بفطنته وخبرته أن كلمة العلماء في هذا الموقف سيكون لها صداها في أجواء سوريا ، وسيقع رنينها في كيان كل مسلم ، ومن هنا كان توجهه إلى العلماء ، حيث قام بجهود واسعة في جمع كلمة العلماء في سوريا ضد الدستور وتحرك العلماء في حماة وحمص وحلب ودمشق وسائر البلاد فتحرك الشعب معهم ، ضد هذا الدستور الذي كان يسعى إلى فرض النظام العلماني يقول الشيخ سعيد] والحق أقول : أنه لولا أحداث الدستور لحدث

21- وهى كتب : (الله ، الرسول ، الإسلام)

22- البطاقة الشخصية بقلم محمد سعيد حوى .

هذا كله ، ولكن أحداث الدستور خففت أو أجلت أو ألغت الكثير من هذه التوجهات] . [23]

خامسا - محنته - ... وهجرته

ثم امتحن الشيخ سعيد بالسجن فاعتقل خمس سنوات من التاسعة والثلاثين إلى الثالثة والأربعين من عمره (1973 م : 1978 م - 1393 هـ : 1398 هـ) بسبب أحداث الدستور ورغم ما عانه في سجنه وما لاقاه إلا أنه كان صامدا صمود المجاهدين ، والسجن محنة الصابرين ؛ ولقد ابتلى الكثير من العلماء والمخلصين في القديم والحديث بهذه المحنة فما ضعفوا وما استكانوا والله يجب الصابرين، وقديما سجن الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية وغيرهم فكان لهم من الضيق فرج ومن الانقطاع عن الخلق اتصال بالحق .

ويحضرني في هذا المقام قول البحتري يخاطب محبوسا :

وما هذه الأيـــام إلا منـــازل فمن منزل رحب إلى منزل ضنك
وقد داهمتك الحادثـــات وإنما صفا الذهب الإبـــريز قبـــلك بالسبك
أما في نبي الله يوسف أسوة لمثلك محبوس عن الظـــلم والإفك؟
أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك [24]

لقد كان لهذا السجن آفاقه الواسعة وثمراته اليانعة في حياة الشيخ سعيد وفكره وعن ذلك يقول

[أتيحت لي فرصة التأمل الواسع في القرآن فتيقنت

---

23 - هذه تجربتي ص 105

24- الآبيات نقلا عن المستطرف في كل فن مستظرف ج2 ص 68 تأليف شهاب الدين الأبشيهى ط دار مكتبة الحياة بيروت

من نظريتي في الوحدة القرآنية ، التي بنيت عليها تفسيري فيما بعد] (2) [25]

وكما فتح الله عليه في السجن ، فقد جعل من السجن مدرسة يدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية ، فاستفاد وأفاد .

- وبعد خمس سنوات قضاها الشيخ في السجن خرج بعد ذلك ليواصل عطاءه ويستمر في دعوته وبعد شهرين من خروجه من السجن كان سفره إلى الأردن حيث استقر فيها إلى آخر حياته .

- يحكي الشيخ سعيد لنا - عن هذه الأحداث فيقول: ومن عجائب الرؤى أنه في يوم سفري جاءني أخي الشهيد محمود رحمه الله على أثر رؤيا رآها ، قال لي : رأيت في المنام أننا في جلسة تضم عددا من الناس ، وأن شيخا اتجه إليك وقال : (عمّان سهل لك أو سهب لك) ،عجبت من هذه الرؤيا ولم أفهمها وقتذاك ،ومن قبل ونحن في السجن رأى أحد الإخوة - وهو أخ دمشقي صالح يحفظ كتاب الله - في المنام أنني أتحدث من التليفزيون الأردني وأنا ألبس عمامتي وجبتي ، وكان قدر الله كما سنرى أن تكون عمان هي وطن الإقامة] . [26]

00خرج الشيخ سعيد من سوريا ، خرج من وطنه الذي فيه نشأ وترعرع وأزهر وأينع.

وفي هذا المقام نورد ما وقع بين يدينا من شعر له عن حنينه إلى وطنه يقول الشيخ سعيد :ـ

وتعطفني نحو البلاد أواصر تذوب لهــا روحي وقلبي المدنف [27]

وأغلى الغوالي فلذة سال دمعها تنـادي أباها كل حين فتسرف

25- هذه تجربتي ص 119 ويراجع الأساس في التفسير المجلد الأول ص 11

26- - هذه تجربتي ص 172

27- المدنف : أي الذي أصابه الإعياء من شدة الوجد

فلا قلبها سال ولا أنا سامع ولا الصبر مسطاع ولا الوصل يسعف
وما هجرت عن طيب نفس وإنما بنو قومـــنا جاروا ، ونفسي تأنف
بقاء بأرض قد تمادت بغيها وأعيا بنيها أن يقيـــموا فينصـــفوا

وله في نفس المقام :
تذكرت أوطاني فهاجتنى الذكرى وأيقنت أن المـكث فيها هو الأحرى
وقد أخطأ الناؤون عنــها وإنني لأكبرهم خـــطأ وأكـثرهم وزرا
وألزمت نفسي الصبر والفقر والأذى ووجهت وجـهي للذي يذهب الضرَّ
وما شغفي للأرض حبا يضيـمها وفيـها من الطاغوت ظلـمته الكـبرى
ولكنـها أرضـى عليَّ فـداؤها وإنقاذها مـما أصيبت به طـرا
وفيها من الأحباب قــــوم وجيرة أجلهم عمري واشتاقهم صهــرا . [28]

سادسا* رحلاته

-حاضر الشيخ سعيد وخطب في كثير من الدول العربية والإسلامية والأجنبية ومنها سوريا والسعودية والكويت والإمارات والعراق والأردن ومصر والباكستان وأمريكا وألمانيا . [29]

سابعا *مرضه ، ووفاته

- دخل العزلة الاضطرارية بتاريخ 3/14/ 1987 - 24 رجب 1408 هـ
بسبب إصابته بشلل جزئي إضافة لأمراض أخرى .
تم دخل في الغيبوبة من تاريخ 14/ 12/ 1988م
إلى 9 آذار1989 وتوفي رحمه الله يوم الخميس

28- هذه الأبيات نقلا عن الرسالة الخطية التي أرسلها إلى نجله الشيخ محمد سعيد حوى

29- سعيد حوى مع الدعاة العاملين عددخاص عن حياة الشيخ سعيد ص 18 إصدار مجلة النذير- النمسا .

الموافق 9 آذار 1989 الموافق 1شعبان 1409 هـ
رحمه الله رحمة واسعة . [30]
- وخرج الموكب المهيب من جامع الفيحاء على الأكف قد تعلقت به الأبصار والأرواح يقطع شوارع عمان ، وإذا بالجموع تتجه نحو المقبرة من كل حدب وصوب من بقية المساجد ، ويتحول هذا المشهد المهيب إلى منتدى فكرى يتبارى فيه العلماء بأجمل الكلمات ويجود فيه الشعراء بأعذب الأبيات .
ولا يسعنا في هذا المقام سوى أن ننقل جانبا من هذه الكلمات والقصائد التي قيلت على قبره والتي وردت في الصحف والمجلات العربية والإسلامية ،

ولأنني اجتهدت في العثور عليها ، وأنفقت وقتا غاليا في الحصول عليها فأجدنى مدفوعا إلى سرد كل ما وقع بين يدي وإلى نقل ما لدى 0
ولكن نظرا لطبيعة البحث فلسوف أتخير منها ما لا يخرجنا عن واقعية الدراسة وعن حدودها .

- ولقد كان لوفاة الشيخ سعيد صداه الواسع ليس في الأردن أو في سوريا وحدها ولكن في جميع الدول العربية والإسلامية ،

ومن أعظم العبارات التي كان لها صدى في نفسي ما قاله ابنه محمد سعيد عن وفاة أبيه الشيخ سعيد حوى يقول محمد سعيد : (كل الناس يموتون لكن فقد العالم المفكر أو قع في النفس ، وفقد القادة أبلغ في الأثر ، وفقد المربى أكثر عبرة وأدعى للحزن ، وفقد الأب أدعى لمشاعر الألم والعبرات .. فهو الحاني وهو الموجه والمسدد والمنقذ بعد الله ، وفقد الابن فاجعة لا تعدلها فاجعة فهو فلذة الكبد وسويداء القلب وحشاشته ، وفقد الأخ فقد للسند والظهير، وإذا كان الأمر

[30] - البطاقة الشخصية بقلم محمد حوى رسالة خطية .

كذلك فان فقد الشيخ سعيد فقد للعالم والمفكر والقائد والمربى والأب والابن والأخ......) . [31]
وفي مجلة البلاغ الكويتية يتابع الشيخ سعيد حوى حديثه عن أبيه فيقول إجابة عن السؤال الذي وجه إليه الصحفي الذي أجرى معه الحوار : ماذا يعنى لك سعيد حوى ؟
فأجاب :(إنه يعنى الشيء الكثير .. الكثير ، فهو الأب المربى الحكيم في تربيته ، الحازم في تأديبه ، العطوف في نصحه ، العالم العامل ، مسدد الخطى ومزيل الحيرة والالتباس ، شمس مشرقة في عالم أرضى ، ونور وضاء في أفق عقلي وروح وريحان في سويداء قلبي هو فارس السماحة والجود ، وفيؤنا عند الشدائد والصعاب رحمه الله] . [32]

وفي مجلة الوطن العربى تحت عنوان (الشيخ سعيد حوى العالم المناضل) في هذا المقال عرض مجمل وتحليل موجز لحياة الشيخ سعيد ، يقول المحرر:
[..... العلامة الشيخ سعيد حوى الذي توفي مؤخرا عن خمسة وخمسين عاما كان علامة بارزة في تاريخ سوريا الحديث رغم أن الموت لم يمهله طويلا ، وكان مثل العالم المجاهد قولا وعملا وتأليفا وتنظيما] . [33]
وفي مجلة اللواء الأردنية كتب الشيخ عذاب محمود الحمش : [كانت وفاة الشيخ سعيد حوى ثلما [34] في الحركة الإسلامية ، نسأل الله أن يقيض من يسدها وقد كانت مناسبة أجبرت الخلائق على

---

[31]- البطاقة الشخصية لسعيد حوى بقلم محمد سعيد حوى رسالة خطية .
[32]- مجلة البلاغ الكويتية ص 46 حوار أجراه الصحفي ياسر إبراهيم (بعنوان أفكار سعيد حوى كما يرويها ابنه محمد) الأحد ذو القعدة 1409 هـ11 يونيو 1989 م عدد 996 .
[33] - مجلة الوطن العربي ص 24 : 26 الشيخ سعيد حوى العالم المناضل بقلم تمام البرازي عدد108 - الجمعة 7 / 4/ 1989 - باريس .
[34] - الثلم - هو الخلل في الشيء أو الكسر يراجع لسان العرب مادة ثلم ح 1 ص 502 ط دار المعارف

الاجتماع والالتقاء والاستماع وعرض وجهات النظر وكانت كلمات العزاء وكلمات الرثاء] . [35]

وفي صحيفة الجمهورية العراقية كان الحديث عن الشيخ سعيد رحمه الله :

وفيه ورد [.... كان الفقيد علما شامخا بين العلماء ، في التفسير والحديث والفقه والبيان والدعوة إلى الله سبحانه ، لم تر العيون مثله في صفاء عقيدته وثبات جأشه وتوكله على ربه وإخلاصه في دعوته وثقته بقينه ، ....لقد كان الفقيد رحمه الله من العلماء العاملين الصادقين الذين كرسوا حياتهم للدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحذروا الأمة من أهل الزيغ والزندقة ، ممن راموا الكيد للعروبة والإسلام ، وصرفهما عن مقاصدهما وأهدافها النبيلة، ولم يمنعه مرضه العضال الذي ألم به في سنوات عمره الأخيرة من مواصلة جهاده المبارك ......] [36]

وفي صحفية الصحوة اليمنية . كانت كلمة الصدق والوفاء لهذا العالم المجاهد ، وفي مستهلها قال الكاتب هذه العبارات :

[إذا عد الرجال في سوريا كان الشيخ سعيد حوى رحمه الله في طليعة هؤلاء الرجال ، وإذا عد العلماء في العالم الإسلامي اليوم كان رحمه الله من ذروة هؤلاء العلماء . وإذا عد المجاهدون لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان كان الشيخ سعيد رحمه الله أحد هؤلاء ......] [37]

وقدمت صحيفة المجتمع الكويتية نعيا للشيخ سعيد رحمه الله ثم نشرت لقاء صحفيا مطولا ، غير الكلمات التي نشرتها لبعض الكتاب . [38]

35- جريدة اللواء الأردنية 5/ 4/ 1989 مقال بعنوان (توضيحات وأضواء حول كلمة الأستاذ زهير الشاويش في رثاء الشيخ سعيد حوى) .

36- جريدة الجمهورية العراقية الصادرة بتاريخ 5/ 4/ 1989 م (بتصرف) .

37- صحيفة الصحوة اليمنية مقال للأستاذ إبراهيم الصافي بعنوان (سعيد حوى إلى جوار الله) ع / 27 / 3 / 1989 .

38- المجتمع الكويتية ع 909 بتاريخ 21 مارس 1989

أما في مصر : فلقد قدمت مجلة الاعتصام ، نعيا للشيخ وعرضا لحياته وصفحة من كفاحه وفي نهاية المقال كانت هذه العبارة :
[ويوم وفاته تجاهلته وسائل الإعلام كما تجاهلته أيام كفاحه تلك التي لا تجهل ولا تتجاهل أهل الفن الرخيص حتى من عرف منهم ومنهن بنشاط مشبوه في مرابض الدعارة والقوادة ومعاقل الرذيلة ...] [39]

وفي مجلة لواء الاسلام: تحت عنوان (سعيد حوى في ذمة الله): رحلة سريعة مع سعيد حوى وإشارة موجزة إلى حياته وجهاده وفكره 0 [40]

و من أفغانستان كتب الدكتور عبد الله عزام تحت عنوان مضيت يا أبا محمد:

سلام الله على روحك الطاهرة هكذا سرت على نفس الطريق الذي شقه أمامك إخوانك ضمتكم بلدة أبى الفداء، [41] 000000 وفي مرابعها طاب الفداء ....لقد حملت جسدك مالا يطيق000 0ولكن:

وإذا كانت النفوس كبارا 000 تعبت في مرادها الأجسام

أبا محمد : ماذا نقول فيك؟ إذ حيثما فقدنا الرجال في ميدان وجدناك، طرقنا باب الدعوة فألفيناك قلعة من قلاعها،وتلمسنا طريق العلم فوجدناك علما من أعلامها، ومضينا على جادة الجهاد فرأيناك صارما من صوار مها ، ونظرنا في ميدان السياسة ، فلقيناك قلما من أقلامها، وسلكنا طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوجدناك

39- مجلة الاعتصام عدد أبريل 1989 م - والقوادة مصدر قاد فهو قواد قوادة وهو السعي بين المرأة والرجل للفجور والبغاء ، يراجع المعجم الوسيط ج2 ص 764 ط دار أحياء التراث العربي تأليف الدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه 0

40- مجلة لواء الإسلام عدد أبريل 1989م- القاهرة

41- هو الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي صاحب تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية وغيرهما المتوفي 774هـ

معلما بارزا من معالمها ، هكذا نحسبك ولا نزكي على الله أحدا ، أبا محمد : لقد جل بك الخطب وعظم بك المصاب ، وفدح بك الرزء ، وعزاؤنا على الطريق فقد الأمة لرسولها صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، ولو نطقت روحك لقالت لمن يتشرفون بحمل جثمانك
خذاني فجراني ببردى إليكما.*. فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا 0] (42)

وبعد....
فهذه رحله سريعة في المجلات العربية والإسلامية التي تجاوبت مع صدى وفاة الشيخ سعيد رحمه الله ، قصدنا من جمعها وسردها أن نكشف بعض الجوانب في حياة الشيخ من خلال ما كتب عنه وما قيل فيه ، إضافة إلى توضيح بعض من خصال الشيخ ومناقبه التي شهد بها القريب والبعيد .
ويطيب لنا أن نختم حديثنا ونتمه بذكر بعض الأشعار التي نظمت في رثاء الشيخ ، ونظرا لطبيعة البحث فإننا سوف نكتفي بذكر ما يشفي العليل ويروى الغليل :
* قصيدة هالني الخطب يا سعيد بقلم عذاب الحمش وهي تسعة عشر بيتا .
نذكر منها : ما يلى

يا سعيد الحجا مضيت وقلبي بعد روحي تسابقا في فداء
أفتديك بمهجتي لو تفدى ويفديك صادق في إخاء
إن موتى وموت قوم كحالي لا يجارى بساعة من عطاء

42- مجلة المجاهد عدد 53 نيسان1989 م أفغانستان.

يا سمّى الصفات أصفي وأنقى		من بهاء الجبين ونور الوفاء
كنت والله عالما ألمعيا		زانك الله بالتقى والنقاء
يا سعيدا حملت دعوة حق		بجهاد وقوة ومضاء
لم يكن همك الوصول لدنيا		لم تكن طالبا وفير الغناء
كنت بحرا من العطاء وفيرا		لا تخاف النفاد عند المساء
كنت للناس والدا مستنيرا		يرتضى الكل ما ترى من ولاء
يا حبيب القلوب حبك نام		في قلوب الأحباب والأعداء
كلنا بات في دموع الثكالى		رغم تسليمنا بحكم القضاء [43]

* وفي مجلة البلاغ الكويتية وتحت عنوان (إلى الداعية الشيخ سعيد حوى رحمه الله في رحاب الخلود)

سطر الشعر شريف قاسم قصيدة طويلة مكونة من اثنين وخمسين بيتا نقتطف منها هذه الأبيات

فلئن مت يا سعيد غريبا		فرجال الهدى هم الغرباء
مت لكن أمواتنا في حياة		وسواهم أذله جبناء

أدلجوا يا سعيد خلف ضياع		صنعته البطالة البلهاء
وأنامتهم الأماني فهاموا		حيث نادهم الهوى لا الرجاء

43- صحيفة المسلمون العدد الصادر بتاريخ 21 / 4 / 1989 م . تصدر من السعودية

والطغاة البغاة عاشوا عبيدا   يوم قادتهم البد الهوجاء
لا تغرنك المظاهر تزهو   فالنياشين شارة جوفاء (44)

(سكت الهزار)
* ومن أجمل ما أنشد في رثاء الشيخ سعيد تلك القصيدة التي نظمها وخطها وليد الأعظمي بعنوان(سكت الهزار) وتحت أيدينا نسخة خطية منها بخط الشاعر وهي تقع في ثلاثة وسبعين بيتا ولا يسعنا إلا نقتطف منها هذه الأبيات :
يقول ناعيا للشيخ رحمه الله :
يا راحلا عنا وفي أعماقنا   شوق إليكم ما عليه مزيد
فارقتنا وتركت فينا لوعة   في القلب يلذع جمرها الموقود
دين لكم في عنق كل مجاهد   يجب الوفاء بذاك والتسديد
ذكراك في قلبي وذكرك في فمي   أشدو به بين الورى وأشيد
ويقول عن مجالس الشيخ وحلقاته العلمية التي كان يقيمها :-
وتحلقت للعلم في أفيائها   حلقات هديٍ نفعها مقصود
وأبو محمد السعيد كأنه   قمر تألق نوره المشهود
وعليه من هدي النبوة مسحة   تضفي عليه مهابة وتزيد
ويفيض من هدى النبي كأنه   قمر تألق سيله الممدود

---
[44] - مجلة البلاغ الكويتية ص30،31 الصادرة يوم الاحد الموافق 4 محرم1410 هـ - 6 أغسطس 1989

يحي القلوب بوعظه وبيانه   لكأنما هو لؤلؤ منضود
والناس يشتارون شهد بيانه   منهم قيام حوله وقعود
يا رافعا للحق راية نصره   والحق تحرسه ظبى وفهود
أفنيت عمرك للجهاد مصابرا   لله فيما تبتغى وتريد
ومن المصائب أن يكمم مصلح   في أهلنا ويعربد العربيد

وفي نهاية القصيدة ينشـــد الشاعــر بهذه الروائــع .

شاقتك جنات الخلود ورفقة الـ
هادى البشير وحوضه المورود
وبشائر الرضوان من رب السما
والذكر للرحمن والتمجيد
حسب الفتى من سعيه بحياته   طيب الثناء وذكره المحمود
أنت السعيد بكل ما قدمته   تلقى الرسول وأنت به لسعيد [45]

*****

رحم الله الشيخ سعيد وسقى قبره سحائب الرضوان وأفسح له فيه إلى رحاب الجنان، وبعد فهذا فصل كتبناه عن حياة الشيخ ووفاته وألحقنا به حديثا عن أخلاقه معتمد ين في ذلك على ما استفاضت به الأخبار وما شهد به العلماء والمفكرون للشيخ سعيد .

* * *

وقبل أن نتحدث عن مرحلة العطاء والبذل نتحدث عن مرحلة التلقي والأخذ ، أعنى بذلك الحديث عن تعليم الشيخ سعيد وعن شيوخه الذين أخذ عنهم 0

45- قصيدة بخط الشاعر ضمن أوراق بعثها لي محمد سعيد حوى

******

الفصل الثاني
تعلمه وشيوخه

* تمهيد

أولا : المرحلة الأولى : التعليم النظامي

ا - المرحلة الابتدائية

ب - المرحلة الإعدادية

جـ - المرحلة الثانوية

د - المرحلة الجامعية

ثانيا : المرحلة الثانية : القراءة الحرة

ثالثا : المرحلة الثالثة : التلمذة على يد الشيوخ

مع ترجمة لبعض الشيوخ الذين تلقى الشيخ سعيد عنهم

حينما نتحدث عن تعليم الشيخ سعيد وشيوخه : يتشعب بنا الحديث إلى ثلاث مراحل :
المرحلة الأولى : التعليم النظامي .
المرحلة الثانية : القراءة الحرة .
المرحلة الثالثة : التلمذة على يد الشيوخ والأخذ عنهم .
وفيما يلي نتحدث عن كل مرحله من هذه المراحل:

أولا : المرحلة الأولى : التعليم النظامي
أ- المرحلة الابتدائية

ونترك الشيخ سعيد ليحكي لنا عن تعليمه النظامي ، الذي بدأه مبكرا حيث التحق بالمدرسة الابتدائية ، وكان لجدته لأبيه دور هام في هذه الفترة .
يقول الشيخ سعيد [كانت جدتي حريصة على تعليمي فأدخلتني مدرسة ابتدائية ، ولكن الفقر لم يكن يسمح بلباس مناسب ، فلا أعرف أنه كان أرث من ثيابي في المدرسة ، حتى احتج المدير على رثاثتى وهدد بطردي فاستطاع أحد أقاربنا أن يأتيني بثوب عتيق ولكن لا بأس به فأنقذني ذلك من الطرد] [46] .... ويتابع الشيخ معنا الحديث فيقول : [... أخرجني الوالد من المدرسة وأنا في الثامنة تقريبا ؛ لأنه لا يستطيع الإنفاق عليّ ولأنه كان بحاجة إلى أن أساعده على صغرى في عمله] [47]
وقريبا من سن الثانية عشرة كانت للشيخ سعيد عودة إلى المدرسة ولكن كيف تم ذلك ذلك ؟
يجيب الشيخ عن هذا التساؤل : قائلا : [نصح بعض الناس والدي ،أقنعوه أن يدخلني في مدرسة ليلية لمتابعة دراستي فلعلي آخذ الشهادة الابتدائية وكان عندنا في (حماه)
مدرسة ابتدائية تقيمها (الجمعية السلفية) تسمى دار الأنصار فألحقني الوالد بها ، ولم يؤثر ذلك على خدمتي إياه ومتابعة أعماله0

46- هذه تجربتي للشيخ سعيد حوى ط . مكتبة وهبة ط 1 1407 هـ 1987 م
47 - كان والده يعمل في سوق الخضار بائعا - بالجملة - المرجع السابق ص 15

كنت أنا الصغير الوحيد بين الدارسين ، فالجميع كانوا كبارا ، وكان يغلب عليّ الخجل والخوف فلم اكن أشارك أي مشاركة أثناء الدرس فكان الزملاء الكبار - وبعضهم من أصدقاء والدي - يعطون الوالد صورة قاتمة عن إمكانياتي وجاء الامتحان فأديته وإذا بي من الناجحين والزملاء الكبار كانوا في الغالب من الراسبين] [48]

ب - المرحلة الإعدادية (1948 م : 1952)

ثم ينتقل الشيخ إلى المرحلة الإعدادية ،فيقول: "

ومما ينبغي لنا أن ننقله عنه في هذه المرحلة قوله :

[نجحت في السنوات الثلاث ، لم أكن ألفت نظر أساتذتي إلا بقدرتي الكتابية ، كان ، بعض المدرسين يقرأ لزملائه ما أكتب فيعجبون " . [49]

جـ 0المرحلة الثانوية (1952 م - 1955 م)

ثم يلتحق الشيخ بعد ذلك بثانوية ابن رشد [50] وكان لهذه الفترة كما كان لما قبلها أثر كبير في حياة الشيخ من الناحية العلمية والعملية لأنها كانت حافلة بأنشطة كثيرة شارك فيها الشيخ ، وجهود واسعة قام بها ،

لقد كانت الواجبات في هذه الفترة اكثر من الأوقات، فمن متابعة الدراسة إلى العمل في مجال الدعوة ن،إضافة إلى حضور مجالس العلماء وملازمتهم ، إلى جانب العمل في التجارة والزراعة 0

لقد تعلم الشيخ كيف ينتفع بوقته وكيف ينظمه على أكمل وجه . [51]

د-المرحلة الجامعية (1955 -م : 1961 م)

خرج الشيخ بعد ذلك إلى دمشق حيث يلتحق بكلية الشريعة ويتتلمذ على أيدي نخبة طيبة من الأساتذة الأجلاء الذين كانوا يدرسون في الجامعة في هذا الوقت ومنهم الدكتور مصطفي الزرقا والدكتور فوزى فيض الله والدكتور أحمد السمان ، وغيرهم كثير ....

- وسوف نترجم لهؤلاء المذكورين في هذا الفصل إن شاء الله -

48- نفس المرجع والصفحة بتصرف

49- المرجع السابق ص 22

50- مدرسة ثانوية موجودة بمدينة حماة

51- المرجع السابق يراجع من ص 25: 43

وتخرج الشيخ سعيد من الجامعة 1961 م وعمره ست وعشرون سنة . (52)

ثانيا : المرحلة الثانية
القراءة الحرة

تعود الشيخ سعيد منذ صغره على القراءة والإطلاع الموسع، فقد كان شغوفا بالقراءة مولعا بها ، وربما تتوفر له الكتب فيعكف على قراءتها، وقد يلجأ إلى المكتبات العامرة فيقضى فيها أوقاتا طويلة ولقد سجل الشيخ في مذكراته صورا من هذا الإقبال على كتب العلم 0

- يحكي لنا عن فترة من الفترات كانت غنية التحصيل وفيرة المحصول- وهكذا كان غيرها -

وهي الفترة من (1948 : 1952 م) من (الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة من عمره) فيقول :

- كانت هذه المرحلة على قصرها وعلى صغرى فيها أغنى مراحل حياتي في المطالعة على كثرة مطالعاتى فيما بعد ، فقد طالعت في هذه المرحلة كتبا علمية كثيرة وقرأت عن شخصيات عالمية كثيرة ،

لقد لخصت كتاب أرسطو " الأخلاق إلى نيقوماخاس " وهو كتاب ضخم وأنا في الصف الثالث الإعدادي وقرأت عن شوبنهور وأفلاطون ونيتشه وهي سسلسلة كان يصدرها عبد الرحمن بدوى ،

وعن الثورة الفرنسية ونابليون ، وفي التصوف ، وفي الأخلاق ، وسلسلة جورجى زيدان ، القصصية التاريخية ،

- كانت هناك مكتبة كبيرة عامة في مسجد يسمى مسجد المدفن في حماة وكانت تفتح أبوابها يوميا بعد العصر ما عدا يوم الجمعة . (53)

ويتابع الحديث عن تحصيله في هذه المكتبة فيقول :

[وكان منظر الصغير الذي يلبس جلابية سوداء ويحلق رأسه ويجلس يوميا فيها يلفت النظر 0

كان معدل قراءتي في الساعة ستين صفحة .... وقد أعطتني هذه المطالعة قوة على الكتابة الإنشائية تتجاوز

52- المرجع السابق يراجع من ص 44 : 55

53 - المرجع السابق ص 22

سني، كما أعطتني القدرة على الاستيعاب السريع وعلى استيعاب الفكرة الكلية بسرعة ، وكان لهذا تأثيره على كل ما كتبت فيما بعد] . (54)

* ويرجع الفضل في إقبال الشيخ سعيد وحبه للقراءة إلى والده الذي يحكي عنه الشيخ سعيد قائلا : [وعودني والدي على المطالعة حتى ولعت بها وكانت بداية ذلك حينما جاءني بقصة عنترة ، ثم بقصة سيف ذي يزن - ثم بباقي القصص الشعبية ... وكان استيعابي رفيعا حتى أنني في يوم من الأيام قرأت في كتاب [المستطرف في كل فن مستظرف - لشهاب الدين الأبشيهي] فحدثت عمى الكبير عن بعض ما فيه فعجب من استيعابي ورغب إلى أن أقص أمام بعض الناس فقصصت ، فعلق أحدهم قائلا : إن هذا الغلام سيأكل الفالوذج على موائد الملوك] . (55)

لقد كانت همة الشيخ أعلى من ذلك فلم يكن يسعى إلى تحصيل مال أو الوصول إلى جاه أو التقرب من سلطان ولكن غايته كانت أسمى من ذلك كله 0

- لقد كانت للشيخ قراءاته الموسعة والمتنوعة في علوم الشرع واللغة وفي التاريخ وفي الفلسفة وفي الأخلاق والتصوف وفي الأديان ، وفي شتى المعارف 0 وكان كثيراً ما يتفاعل مع هذه القراءات ويتعايش معها بعقله وقلبه وروحه وجوارحه يقول الشيخ سعيد [وكانت قراءاتي في الإحياء تدعوني إلى نوع من التقشف الشديد ....] . (56)

*** ومن يتابع حياة الشيخ يجد أنه لم ينقطع عن القراءة والتحصيل طوال حياته حتى في أسوأ الظروف التي مر بها الشيخ .

ثالثا : المرحلة الثالثة [التلمذة على يد الشيوخ]

* نقصد بالشيوخ : الذين أخذ عنهم وتتلمذ عليهم - بطريق مباشر -

---

54 - نفس المرجع ص 22

55 - المرجع السابق ص 9 بتصرف ، ومعنى [سيأكل الفالوذج على موائد الملوك] كناية عن وصوله إلى درجة علمية رفيعة تجعله يحظى بمكانة عالية ومنزلة كبيرة بين الناس عموما وبين أصحاب السلطان وذوى الشأن على وجه الخصوص

56 - المرجع السابق ص 23 ويقصد بالإحياء كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى

يقول ابن خلدون : [إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما ، وتارة تعليما وإلقاء ،وتارة محاكاة ، وتلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات بالمباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا] . [57]

" وكلما كثر الشيوخ وتعددوا كان حصول الملكات أقوى ورسوخها أعظم " .[58]

لقد كان الشيخ سعيد شديد الحرص على مجالسة الشيوخ ، وكان شديد القرب منهم يقول عنهم :[لم تزل سوريا مليئة بالعلماء العاملين على مدى العصور ، وكانت السياسات الاستعمارية تقتضي تفقيرهم وتحجيمهم والازدراء بهم ومع ذلك فإن قسما كبيرا منهم شاركوا في الحركة الوطنية وقسما كبيرا منهم لم يكونوا يتركون العلم والتعليم والوعظ إن في المساجد أو في المدارس الدينية ،.... واستطاع العلماء الأقوياء الذين يدرسون في المساجد ويعظون أن يؤثروا كثيرا في قطاع كبير من الشعب وكان كثير من العامة يرتبطون بحلقة شيخ من المشايخ] [59]

وكان من أبرز العلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم [الشيخ : محمد الحامد] الذي كان له أثر كبير عليه0

فلقد تعلق به تعلقا شديدا ، وتحدث عنه في كتابه هذه تجربتي حديثا مسهبا ، ومن هذا الحديث المسهب ننقل ما يلي : [وكان لشيخنا محمد الحامد حلقته العامة التي يدرس فيها بين المغرب والعشاء إلا في شهر رمضان فقد كان درسه بعد العصر ، وكان غزير العلم عميق الفهم ؛ وكانت دروسه العلمية في غاية النفع والإفادة لطالب العلم فلقد كان يقرأ فيها في أمهات الكتب وكانت دروسه متنوعة في شتى العلوم الشرعية .

وكانت تلمذتي على هذه الحلقة وتلمذتي الخاصة على الشيخ لهما الأثر الأكبر في حياتي ، وكان من عادته رحمه الله أن يدفع تلامذته نحو الاستفادة من العلماء ولذلك كنت دائم البحث عمن أستفيد منه] . [60]

---

57 - تاريخ العلامة ابن خلدون ج 2 ص 144 ط دار الكتاب اللبنانى بيروت

58 - جوامع الجامع من التفسير للطبرسى-رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة ص 14 للدكتور بليغ فتحي عبد الخبير

59 - هذه تجربتي .... ص 37

60 - نفس المرجع ص 37 بتصرف .

ويقول في موضوع آخر من كتابه (هذه تجربتي) مؤكدا حبه وقربه من الشيخ محمد الحامد وتأثره به:[وتأكدت تلمذتي على الشيخ محمد الحامد في هذه المرحلة وأصبحت أشعر أكثر من ذي قبل أنني تربطني به رابطة روحية قوية لدرجة أنه كان عندي استعداد لأن أفتديه بحياتي وقلما أحسست هذا الإحساس مع أحد غيره، وكان لتلمذتي على الشيخ آثر كبير في نفسي ، فقد نمى حبي للفقهاء وللعلماء] . (61)

ومع تعلق الشيخ سعيد بالشيخ محمد الحامد إلا أن الشيخ محمد الحامد كان يدفعه إلى الأخذ عن العلماء الآخرين والاستفادة منهم ، وكان للشيخ سعيد منهجه في الأخذ عن العلماء :

يقول : [وكانت سورية مليئة بالعلماء وقد حاولت أن أستفيد من كل شيخ تعرفت عليه ، ومع إنكاري على بعض الشيوخ فقد حاولت أن أستفيد من بعض علومهم ، وهكذا أصبح البحث عن الشيخ المعلم للاستفادة منه هدفا لي لم أتخل عنه إلا مضطرا وحتى هذه اللحظة فإنني إذا اجتمعت بالعلماء أحرص على أن استفيد ، وإذا تكلمت فلأفتح لهم الطريق للكلام] . (62)

- لقد استفاد الشيخ من كثير من العلماء ولقد تحدث عن الكثير منهم في كتابه هذه تجربتي - وكان من أحبهم له بعد الشيخ الحامد الشيخ محمد الهاشمي يقول عنه :

[وغلب على قلبي حب الشيخ الهاشمي وتعلق قلبي به فكان هو والشيخ محمد الحامد أكثر اثنين تأثيرا في حياتي] . (63)

- إن الشيخ سعيد نفسه لا يحصى جميع العلماء الذين أخذ عنهم في كتابه هذه تجربتي ولذلك نراه يقول : [أما العلماء الذين اجتمعت بهم فذاكرتهم ودارستهم فلا أحصيهم كثرة] ، ولكنه مع ذلك يذكر الكثير منهم ممن كانت لهم مواقف مشهودة وآثار واضحة في فكر الشيخ سعيد ، ومن هؤلاء الرجال الفضلاء والعلماء الأجلاء الذين تتلمذ على يديهم الشيخ سعيد ، وذكرهم في كتابه هذه تجربتي : عالم

[61] - نفس المرجع ص 26 ويراجع حديثه عنه في نفس الكتاب ص 25 ، 26 ، 28 ، 30 ، 32 ، 37 ، 39 0 ويراجع حديثه عنه في كتاب كى لا نمضى بعيدا عن احتياجات العصر - رسالة الإجابات ص 436 : 438 ط دار عمار لبنان / الأردن .

[62] - المرجع نفسه ص 37

[63] - نفس المرجع ص 30

كبير وشيخ جليل كان له أعظم الأثر والتقدير عنده فضيلة الشيخ عبد الكريم الرفاعى
: وعنه يقول [وقد كان من أبرزهم الشيخ عبد الكريم الرفاعى رحمه الله الذي أعتبره أحد أركان التجديد في القرن الرابع عشر الهجري ، وكانت لي مجالسات ومذاكرات معه رحمه الله ....] .
ومن الذين اخذ عنهم الشيخ سعيد فضيلة الشيخ إبراهيم الغلابينى (مفتى قطنا ومرشدها)
واخذ ايضا عن الشيخ ملا رمضان البوطى اخذ عنه التصوف والعلم .
كما أخذ عن عالم دمشق الشيخ أحمد الحارون والشيخ يحيى الصباغ وعن الأخير يقول :[وزرنا الشيخ أحمد حارون في بيته وكانت جلسة عجيبة بما حوته من فوائد وعلوم،كان يسألنا عن بعض الآيات القرآنية ثم يأتينا بأوجه جديدة لا تخطر على بال ومع ذلك كنا نسلم له فيما يقول لوضوح الحجة عنده ،رحمه الله] (64)
وفي مجال الفقه أخذ الشيخ سعيد عن الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت ،يقول الشيخ سعيد [وتتلمذت على يد الشيخ عبد الوهاب الحافظ (دبس وزيت) أفقه فقهاء الحنفية في بلاد الشام ،هذا إلى جانب الأساتذة الذين درسوا له في الجامعة وفيما يلي نقدم ترجمة لبعض العلماء الذين التقى بهم الشيخ سعيد وأخذ عنهم والذين سنترجم لهم من شيوخه هم

1- الشيخ محمد الحامد
2- الشيخ محمد الهاشمي
3- الشيخ عبد الكريم الرفاعي
4- الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت
5- الشيخ إبراهيم الغلابيني
6- الشيخ ملا البوطى
7- الشيخ أحمد الحارون
8- الشيخ يحيى الصباغ
9- الشيخ بهجت البيطار

64- نفس المرجع ص 38

ومن أساتذته في الجامعة الذين ذكرهم في كتابه (هذه تجربتي)

1- د0 مصطفي السباعي
2- د0 مصطفي الزرقا
3- د0 محمد المبارك
4- د0 فوزى فيض الله
5- د0 أحمد السمان
6- د0 أحمد الساعاتى
****

1- الشيخ محمد الحامد

هو عالم حماة وفقيهها ، ولد في حماة وتوفي فيها 1969 م 1389 هـ ، ونشأ فقيرا يتيم الأبوين وكفله أخوه الشاعر المشهور بدر الدين حامد، وشجعه على العلم حتى اجتاز المرحلة الابتدائية ،ثم التحق بدار العلوم الشرعية وبعد تخرجه منها ارتحل إلى حلب ، حيث انتسب إلى المدرسة الخسراوية وتتلمذ على يد الشيخ أحمد الزرقا - أشهر علماء حلب في ذلك الوقت- ثم التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر ونال الشهادة العالية منها .

-تأثر بعدد كبير من العلماء في سوريا ، كما كان له تأثر بالشيخ حسن البنا وقد صاحبه بمصر سنين عديدة ولما مات الشيخ حسن البنا بكاه بكاء مريرا0

مارس التدريس بثانوية ابن رشد بحماة وكان يلقى درسا عاما في المسجد كل ليلة بعد الغروب إلا ليلة الجمعة ،وكان له درس خاص في غرفته بالمسجد بعد الشروق من كل يوم إلا يوم الجمعة . [65]

أما عن أخلاقه وفكره : فيتحدث الشيخ سعيد عن أستاذه فيقول [كان رحمه الله من أروع خلق الله فيما نعلم ،شهد بذلك كل من عرفه ،ولقد قال عصام العطار في خطبة ألقاها في ألمانيا الغربية بتاريخ 1/8/1982 م: إن الشيخ الحامد رحمه الله هو شيخ حماة وشيخ سورية ولا أعرف ولا أعلم ولم أسمع عن شخص في مشرق الدنيا وفي مغربها أشد ورعا من الشيخ الحامد ، كان آية في التحقيق العلمي وكان متشددا في الفتوى وكان لا يفتى إلا

65- نقلا عن كتاب الموسوعة الحركية للأستاذ / فتحي يكن - المجلد الأول تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجري ص 89:91 ط مؤسسة الرسالة ط 1 - 1400 هـ - 1980 م

إذا درس ودارس واطمأن ،وكان ناصحا مشفقا000 وكم كان حريصا على وحدة المسلمين .
أما عبادته وتقواه فقد كان دائم التلاوة لكتاب الله مداوما على الذكر وكان يجل العلماء ويوقرهم وإذا استدرك شيئا على عالم من العلماء كان متلاطفا متأدبا معه في الحديث . (66)

ومن أهم مؤلفاته رحمه الله

1 - ردود على أباطيل
2- رحمة الإسلام للنساء
3 - نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام (67)
4 - حكم اللحية في الإسلام
5 - حكم نكاح المتعة
6 - لزوم اتباع مذاهب الأئمة

إلى جانب رسائل أخرى متفرقة (68)

2 - الشيخ محمد الهاشمى

هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى جمعة الهاشمى ، الجزائرى ، الساحلى ، ثم الدمشقى ، الأشعرى ، المالكي .
ولد من أبوين صالحين يوم السبت 22 من شوال 1298 هـ في مدينة (سيدة) التابعة لمدينة (تلمسان) الجزائرية ، ويرجع نسبة إلى الحسن بن على رضى الله عنه .
وكان أبوه قاضيا في بلدته ، توفي وترك أولادا صغار كان الشيخ محمد الهاشمى أكبرهم سنا ، لازم علماء الجزائر ثم هاجر 1329 هـ مع شيخه محمد بن يلس إلى بلاد الشام ، وحضر دروس الشيخ عبد القادر الدكالى في جامع النخلة بحي السويقة بدمشق وقرأ عليه كتبا كثيرة وأجازه الشيخ ووهبه كتبه قبل وفاته كما اخذ عن المشايخ الأجلاء في دمشق كالمحدث بدر الدين الحسنى والعلامة السيد محمد بن جعفر الكتانى والشيخ أمين سويد والشيخ محمود العطار الذي أخذ عنه علم أصول الفقه والشيخ محمد بن

66- نقلا عن كتاب كي لا نمضى بعيدا عن احتياجات العصر - رسالة الإجابات للشيخ سعيد حوى ص 436 ، 438 بتصرف ط دار عمار الأردن - لبنان ط 1 1408 هـ -1988 م والأستاذ عصام العطار هو أحد الدعاة السوريين .

67- وفيه يناقش الدكتور مصطفي السباعي في كتابه اشتراكية الإسلام والكتاب مناقشه هادئة هادفة ، ونقد بناء موضوعي لما كتبه الدكتور السباعي .

68- الموسوعة الحركية - المجلد الأول ص 89 : 91 تأليف الأستاذ فتحى يكن بتصرف .

يوسف المعروف بالكافي أخذ عنه الفقه المالكي ، وكان متخلقا بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، قولا وعملا يهتم لأحوال المسلمين ، ويتألم لما يصيبهم ويحذر من فرقتهم يكره الاستعمار كل الكراهية ، ولهذا انضم إلى صفوف المقاومة الشعبية مع ضعف جسمه ونحوله وكبر سنه ، أقبل الناس عليه يأخذون عنه ، وارتفع ذكره ونبل قدره .

*** من مؤلفاته - مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة**
- الرسالة الموسومة بعقيدة أهل السنة (مع نظمها)
- الرسالة الموسومة بسبيل السعادة في معنى كلمتى الشهادة مع نظمها
- الحل السديد فيما استشكله المريد من جواز الأخذ عن مرشدين
- القول الفصل القويم في بيان المراد من وصية الحكيم
(دعا فيه المسلمين إلى الوحدة)

إلى جانب رسائل أخرى متعددة .

توفي يوم الثلاثاء الموافق 12 رجب 1381 هـ ،19 كانون الأول 1961 م وصلى عليه بالجامع الأموي . [69]

3 - الشيخ عبد الكريم الرفاعى

هو العلامة المربى عبد الكريم الرفاعى .

نشأ أول أمره ، فتى مريضا ، فمنّ الله عليه بالشفاء ووهبه صحة لم يكن يتوقعها أحد فنذرها لخدمة الدين والعلم والإرشاد ،

أقبل على العلم وأنتظم في حلقات الشيخ على الدقر يقرأ أولا على الطلاب المتقدمين ، وما برح يجد ويتقدم حتى

69- نقلا عن تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجرى (بتصرف) تأليف محمد مطيع الحافظ ، نزار أباظة وتقديم دكتور شكرى فيصل ج2 ص 747 : 751 بتصرف ط دار الفكر ط 1 - 1406 هـ - 1986 م وتراجع ترجمته في معجم المؤلفين السوريين للأستاذ عبد القادر عياش ص 524 ط - دار الفكر بسوريا

أصبح من خاصة الشيخ ومضى على هذا الحال يعلم ويتعلم حتى أتقن علوما كثيرة ،
حضر دروس المحدث الشيخ بدر الدين الحسنى ، وخصه المحدث بدروس كثيرة نحو عشر سنوات ، واستقل في جامع زيد بن ثابت فقامت في حي باب سريحة وحي بستان الحجر وغيرهما نهضة علمية وكان المسجد جامعه مفتوحة لشيء العلوم الشرعية

من مؤلفاته : - المعرفة في بيان عقيدة المسلم
- أخلاقنا الإجتماعية

توفي بدمشق 28 شباط 1973 م 1393 هـ . [70]

4 - الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت

هو علامة وفقية ومقرئ الشام وأفقه أهلها في مذهب أبى حنيفة، كان مع علمه الجم شديد التواضع ...، لا يتقاعس عن عمل معروف ولا يسكت عن منكر يراه ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، كان زاهدا مترفعا عن الحكام ، لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يرغب في التقرب إليهم ، كان يصدع بالحق ، ويقر حكم الله في المسألة على الوجه الأمثل. [71]

له مؤلفات مطبوعة أهمها - رسالة في التجويد
- تعليقات على رياض الصالحين
- رسائل في الصوم والزكاة والحج والزيادة . [72]

- توفي في دمشق 1389 هـ 1970 م [73]

5 - إبراهيم الغلايينى

هو : إبراهيم بن محمد خير بن إبراهيم الأصيل الكيلانى الشهير بالغلايينى ، ولد سنة 1300 هـ في حلب واتجه لطلب العلم الشرعي وأخذ عن أعلام عصره ، عين إماما وخطيبا ومدرسا في قضاء قطنا
ثم مفتيا لها 1330 هـ - 1911م.
-كان كثير التلاوة والمدارسة للقرآن وخاصة في الثلث الأخير من الليل وكان حسن الصوت والنغم في التلاوة ، يأرق في الليل متفكرا لما حل بالأمة ، مهتما بشئونها

70- تاريخ علماء دمشق ج2 ص 905 ، 906 .
71- الموسوعة الحركية المجلد الأول ص 117 بتصرف
72- معجم المؤلفين السوريين ص 116
73 - تاريخ علماء دمشق ج 2 - ص 828 : 846

الخاصة والعامة ، زاهدا في الدنيا ، متواضعا ، يعيش على الكفاف ....

توفي يوم الاثنين 17 شوال 1377 هـ . [74]

6 - ملا رمضان البوطي

هو الفقيه الزاهد : ملا رمضان بن عمر بن مراد الكردي البوطى ولد في بلاد الأكراد 1306 هـ بجزيرة ابن عمر على نهر دجلة ، ونشأ وتعلم فيها ، ثم تنقل في القرى والبلدان لطلب العلم ، وقد برع في علوم الشريعة كلها ، لا سيما الفقه الشافعى والحنفي ، كما شارك خلال حقبة من الزمن مع رابطة العلماء بدمشق في الأنشطة الإسلامية ، واقتصر في سنواته الأخيرة على تدريس كتاب الإحياء ، وابنه الدكتور محمد سعيد صاحب مؤلفات عديدة من أشهرها كتاب فقه السيرة وغيره

توفي في 20 شوال 1410 هـ وخرجت دمشق في وداعه إلى مثواه الأخير [75] .

7 - أحمد الحارون

هو أحمد بن محمد بن غنيم (الحارون) الحجار ولد بدمشق في حي الصالحية بجانب جامع الحنابلة 1315 هـ، توفي أبوه وعمره سبع سنوات فتعهدته أمه التي أرسلته إلى كتاب مجاور إلى بيتها ، وكان يعمل حجارا في جبل قاسيون ، بالإضافة إلى عنايته بالدرس والبحث ومحافظته على الطاعات0

اتصل بالكثير من العلماء والصالحين في عصره وكانت له مواقفه البطولية الرائعة ضد الاستعمار الفرنسي وكانت له اطلاعات في شتى العلوم والمعارف توفي ليلة الجمعة 19 جمادى الأولى 1382 هـ ودفن بدمشق .[76]

8 - يحي الصباغ

هو العالم الصالح الزاهد الورع : يحي بن محي الدين بن صالح بن أحمد بن رجب الصباغ ، حفظ القرآن الكريم ، وحفظ صحيح البخاري وأخذ عن الكثير من علماء عصره ، درس في أماكن كثيرة وخاصة في جامع الشيخ محي الدين بالصالحية وكان يشرح في كثير من الأحيان بعض الآيات القرآنية، وقد عرف عنه زهده بماله ، لا يبقى من

---

[74]- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ج - 2 ص 687 : 692 بتصرف .

[75]- تاريخ علماء دمشق ج 3 ص 551 : 553 بتصرف

[76] - المرجع السابق ج 2 ص 561 بتصرف 753 : 762

المال معه شيئا، وله أحوال مشهورة بين الناس في الزهد والكرامات ، عاش ما يقرب من خمسة وثمانين عاما وتوفي يوم الأربعاء 20 صفر 1381هـ رحمه الله . [77]

9 - بهجة البيطار

هو العلامة اللغوى المحقق : محمد بهجة بن بهاء الدين بن عبد الغنى بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار ...... ولد سنة 1311 هـ وكان والده عالما أديبا ، تتلمذ على يد مشاهير عصره كالشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ محمد الخضر حسين والمحدث بدر الدين الحسنى وأجازوه في كثير من العلوم ،

ثم استقل بالخطابة والإمامة والتدريس ، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي ، له مؤلفات كثيرة ، منها كتابه : نقد عين الميزان ألفه أيام الطلب والتحصيل انتصارا للشيخ القاسمى وأئمة الرواية في الأخذ عن كل ثقة ثبت صدوق ،

وكتابه - الرحلة النجدية الحجازية

وكتابه- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية

وكتابه - الإسلام والصحابة الكرام بين الشيعة وأهل السنة

وكتابه - الكوثرى وتعليقاته- رد على افتراءات زاهد الكوثرى على أهل السنة والجماعة

وكتابه - تفسير سورة يوسف-اكمل فيه ما بدأه الشيخ رضا رشيد . [78]

*** أساتذة الشيخ سعيد في الجامعة الذين أورد ذكرهم في كتابه (هذه تجربتي)**

1- الأستاذ الدكتور : مصطفي السباعي

- هو العالم الفقيه والداعية الإسلامي : مصطفي بن حسنى السباعي
- ولد عام 1333 هـ-1915 م في حمص وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه حتى ما قبل الجامعة ،

77- تاريخ علماء دمشق ج 2 ص 751-753 بتصرف

78- المرجع السابق ج 2ص 918 - 925 بتصرف

- وأول المؤثرات في تكوينه الخلقي والفكري ببيته ذو الطابع الديني والعلمي،كان أبوه الشيخ حسنى خطيب الجامع الكبير في حمص وكذلك كان أجداده ،وكان له في أبيه قدوة حسنة في العبادة والعلم والجهاد 0000
- توجهت أنظاره إلى مصر وفيها استكمل دراسته حتى حصل على درجة العالمية الدكتوراه في التشريع الإسلامي ، وكان موضوعها (السنة ومكانتها في التشريع) 1368 هـ عمل في مجال التدريس في ثانويات حمص ، ثم انتقل إلى العمل بالجامعة في كلية الحقوق1370 هـ ،وهناك التقى بالطلبة الدارسين وأفادهم كثيرا وأفاض عليهم بما من الله عليه من علم وفقه ، حتى أجمع الطلاب على حبه وتقديره ومتابعة محاضراته ومناقشاتها بكل رغبة واجتهاد .
- وكان له فضل في إنشاء كلية الشريعة التي تولى عمادتها بعد إنشائها ورأى ضرورة تيسير الفقه وتبسيطه ليكون في متناول أيدي الباحثين والدارسين ، ومن هنا انبثق اتجاهه وإخوانه من المشاركين في هذا المضمار إلى تكوين [موسوعة الفقه الإسلامي] .
- أما عن أنشطته السياسية : فلقد خاض الكثير من المعارك السياسية ورشح عضوا في المجلس التأسيسي بسوريا ، واختير نائبا لرئيسه ولكن النواب الآخرين أصحاب الاتجاهات المختلفة كانوا كثرة أمام القلة من النواب الإسلاميين .

وأيا ما كان فلقد ترك الشيخ مصطفي ورفاقه بصمات واضحة على الدستور ولأن هذا الطريق لا يعجب أهل الباطل فلقد اعتقل الشيخ اكثر من مرة على أيدي الاحتلال الفرنسي وعلى أيدي الاحتلال الإنجليزي ، ولقد كان للشيخ مصطفي مواقفه المشهودة نحو قضية فلسطين ، لا يسعنا المقام للحديث عنها ، ولقد أدرك الشيخ أهمية العمل في جماعة فكان له الفضل في تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في سوريا ، واختير مراقبا عاما لها في سوريا . [79]

---

79 - نقلا عن علماء ومفكرون عرفتهم للأستاذ محمد المجذوب ج1 من ص 379 : 411- ط دار الاعتصام

- كان رحمه الله إلى جانب ذلك شاعرا تجود قريحته بأجمل الأبيات وأعذبها خصوصا : الشعر الديني والسياسي ، ولقد أثرى رحمه الله المكتبة الإسلامية بما قدمه لها من كنوز زاخرة نذكرها هنا إتماما للفائدة *
- - من روائع حضارتنا
  * -عظماؤنا في التاريخ
  *- المرأة بين الفقه والقانون
  *- هكذا علمتني الحياة
  *- السنة ومكانتها في التشريع
  *- سلسلة هذا هو الإسلام
  *- مقالات السباعي

- أحكام الصيام وفوائده
- اشتراكية الإسلام
- هذا إلى جانب إسهامه في موسوعة الفقه الإسلامي [80]

- وقد درس للشيخ سعيد في الجامعة واستفاد منه الشيخ سعيد كثيرا داخل الجامعة وخارجها

2 - د . مصطفي الزرقا

هو العالم الفقيه : مصطفي بن أحمد الزرقا ولد بحلب 1907 م وحفظ القرآن الكريم واهتم بالدراسات اللغوية والأدبية ......

تخرج في 1933م من كليتي الحقوق والآداب فكان ترتيبه الأول في كلتيهما ، ثم اشتغل بالتدريس في جامعة دمشق أستاذا للشريعة والحقوق المدنية 1944

وفقه الله لإخراج سلسلتين : أولاهما بعنوان [الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد] وتقع في أربع مجلدات وتعتبر من المراجع المعتمدة في الفقه الإسلامي

أما السلسلة الثانية فتتألف من ثلاث مجلدات في شرح القانون المدني ، تولى وزارة العدل والأوقاف 1956 - فترتين - قبل الوحدة بين مصر وسوريا وبعدها ، ونال جائزة الملك فيصل عن كتابه [المدخل إلى نظرية الالتزام

---

[80] - يراجع ترجمته في كتابه عظماؤنا في التاريخ في مقدمة هذا الكتاب بقلم الدكتور عدنان زرزور ص 5 وما بعدها ط المكتب الإسلامي ط 4 1985 ، كما تراجع ترجمته في الموسوعة الحركية للأستاذ فتحى يكن ج1 ص 141 : 150 مؤسسة الرسالة 1400 هـ 1980 م

العامة في الفقه الإسلامي] - وهو ضمن سلسلة الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد . [81]

3 - د . محمد بن القادر المبارك

هو الفقيه الأديب محمد بن عبد القادر المبارك ولد بدمشق 1912 م ، كان والده عالما في اللغة وفي الأدب ، وكان عضوا بالمجمع العلمي العربي ، وكان لهذا أثره على الدكتور محمد ، فكان البيت مدرسة إسلامية ومكتبة ذاخرة ، يقول عن نفسه : [أما دراستي فكانت مزدوجة تسير في خطين متوازيين أحدهما : خط المدرسة النظامية وثانيهما خط الدراسة القديمة على الشيوخ وفي الحلقات،]، لازم الشيخ بدر الدين الحسنى ولم يفارقه حتى توفي 1935 م

-أنهي دراسته الجامعية 1935 م وتخرج من كليتي الحقوق والآداب واستكمل دراسته في جامعة السربون والتقى بالكثير من المستشرقين يقول عن نفسه : [عرفت المستشرقين عن كثب ولم أجد عندهم مادة علمية أستفيدها بل كنت كثيرا ما أصحح لهم معلوماتهم] 0

- ودرس في كلية الشريعة بدمشق وانتدب للتدريس في جامعات أخرى في السعودية وفي السودان 0

- وشارك في عدد من الوزارات وفي الحياة النيابية 0

- أما عن مؤلفاته فمن أهمها * نظام السلام - وفيه يتناول العقيدة والعبادة والاقتصاد والسياسة والأخلاق والأسرة

* فقه اللغة * الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الفكر العربي

* الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية

* الأمة العربية في معركة تحقيق الذات وفيه يعالج فكرة القومية من منظور إسلامي [82]

4- د. فوزي فيض الله

ولد في حلب والتحق بالدراسة النظامية وتدرج في سلم التعليم حتى حصل على العالمية -الدكتوراه - في الشريعة الإسلامية وعين مدرسا للشريعة بجامعة حلب ،ودمشق 0

---

[81] - علماء ومفكرون عرفتهم ج2 ص 343: 370 ، ويراجع معجم المؤلفين السوريين ص 221

[82] - علماء ومفكرون عرفتهم ج1 ص 229 : 263 بتصرف ويراجع معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين ص 463،464

ومن أهم مؤلفاته : كتابه فصول في الفقه الإسلامي العام ط جامعة دمشق 1968 ويقع في 848 صفحة . [83]

5 - د. أحمد عبد العزيز السمان

ولد في دمشق 1904 م - حصل على الإجازة في الحقوق من جامعة دمشق ، متخصص في العلوم الجزائرية من جامعة باريس والدكتوراه في العلوم الاقتصادية والسياسية من كلية الحقوق جامعة باريس ،

عين مساعدا بمعهد الحقوق بدمشق 1938 م ، وتدرج في بعض المناصب حتى وصل إلى منصب رئيس الجامعة السورية 1961 م ، له مؤلفات في القانون وفي الاقتصاد السياسي . [84]

6 - أحمد فوزي الساعاتي

فقيه وكاتب درس في جامعة دمشق ، بكلية الشريعة له مؤلفات عديدة في العلوم الشريعة

من أهمها : - مشكاة العلوم والبراهين في إبطال أدلة الماديين

- البرهان في إعجاز القرآن .

- تحفة الراغبين في حسم الجدل بين الإسلام والمبشرين . [85]

وبعد .... فهذه ترجمة قدمناها لبعض الشيوخ الأجلاء والأساتذة الفضلاء الذين أوردهم الشيخ سعيد حوى في مذكراته [هذه تجربتي]

ولقد قدمنا هذه الترجمة لنعلم مكانتهم العلمية والعملية ، حتى يتضح لنا آثرهم الفعال على الشيخ سعيد خاصة وأنه كان حريصا على ملازمة العلماء والاستفادة منهم 0

83- المرجع السابق ص 406

84- نفس المرجع ص 258 : 259

85 - المرجع السابق ص 235

الفصل الثالث
ثبت بمؤلفات الشيخ سعيد حوى رحمه الله
مع التعريف بها

أولا : دراسات منهجية هادفة حول سلسلة (الأصول الثلاثة)
وتتكون من ثلاثة كتب هي : 1- الله جل جلاله
2 - الرسول صلى الله عليه وسلم
3 - الإسلام
ثانيا : دراسات منهجية هادفة حول سلسلة (الأساس في المنهج)
وتتكون من ثلاثة مؤلفات :-
1- الأساس في التفسير
2 - الأساس في السنة وفقهها
3 - الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص
ثالثا : دراسات منهجية هادفة في التربية والتزكية والسلوك
وتتكون من ثلاثة كتب : 1 - تربيتنا الروحية
2 - المستخلص في تزكية الأنفس
3 - مذكرات في منازل الصديقين والربانيين
رابعا : سلسلة في البناء دراسات منهجية هادفة في البناء
تتكون هذه السلسة من أحد عشر كتاباً وهي
1- جند الله ثقافة وأخلاقاً
2 - من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك
3 - مدخل إلى دعوة الأخوان المسلمين 4 - دروس في العمل الإسلامي
5 - فصول في الإمرة والأمير 6 - في آفاق التعاليم
7 - هذه تجربتي ... وهذه شهادتي 8 - رسائل "كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر 9 - جولات في الفقهين الكبير والأكبر 10 - جند الله تخطيطاً

11 - جند الله تنظيماً

* إن حياة الرجال لا تقاس بالسنين التي عاشوها وإنما تقاس بالأعمال التي قدموها للبشرية ، وبالآثار التي خلقوها ، لتدفع لهم ذكراً وتبقى لهم ذخراً .
يقول الأستاذ : عبد العزيز الحاج مصطفي - أحد أصدقاء الشيخ سعيد : [86]
[لقد عاش سعيد حوى عمراً قصيراً إذا ما قيس بعدد السنين لكنه عمر حافل بالعطاء]
ويقول : [إن الذي يتصفح التاريخ الإسلامي والذي يرسل نظرة متفحصة عبر حياة الأمم يقف على كثير من المعالم البارزة ، التي تحكي حياة رجال عظام امتازوا عمن سواهم بالبذل والتضحية وقدمّوا المثل الصالح لمن سيخلفهم من أجيال متعاقبة ، وسعيد حوى واحد من أولئك الرجال ، الذين لا يتوقف تأثيرهم ، عند حدود معينة وإنما يتعدى إلى ما هو أبعد ، فالمسافر اليوم إلى إندونيسية والهند وباكستان أو أي من البلاد الإسلامية ؛ لا يعدم وهو يزور المكتبات العامة والخاصة ، أن يجد كتبه ومؤلفاته وقد أخذت مكانها هناك] . [87]
ويقول الأستاذ عدنان سعد الدين [إن الذي يمعن النظر في كتاباته يحسبه متفرغا لها ، بل يجده قد أعطى اكثر مما قدمه المتفرغون للبحث والتأليف ، ومن نظر في نشاطاته ومشاركته ومسئولياته الإدارية والتنظيمية يخاله منصرفاً إليها ولا يشغله عنها شئ ، فكان في مجال الحركة والدعوة متقدماً ، وكان في رحاب الفكر وحفل الكتابة والتأليف مبرزاً] . [88]
ونلاحظ إصدار الشيخ سعيد حوى لكتبه كلها تحت عنوان دراسات منهجية هادفة لأنها كلها
دراسات في المنهج .
*** وفيما يلي أتناول مؤلفات الشيخ سعيد بالعرض والتحليل :**

---

86 - مجلة النذير ص 35 مقال بعنوان سعيد حوى الرجل الذي فقدناه لعبد العزيز الحاج مصطفي ع 112 ذو القعدة 1409 حزيران 1989 م السنة العاشرة
87 - المرجع السابق ص 33
88 - نفس المرجع ص 6 مقال بعنوان سعيد حوى مع الدعاة العاملين للأستاذ عدنان سعد الدين

أولا : دراسات منهجية هادفة حول
سلسة الأصول الثلاثة :
وتتكون من ثلاثة كتب وهي : - الله جل جلاله
- الرسول صلى الله عليه وسلم
- الإسلام

- أما الكتاب الأول : فقد تحدث فيه عن الإيمان بالله ، حديثاً يمحو كل شك ويزيل كل شبهة ، ويدحض كل إفك ، وقدم فيه الأدلة العقلية والنقلية على وجود الله ، كما تناول فيه صفات الله تعالى موضحاً ما يجب لله تعالى وما يجوز وما يستحيل في حقه عز وجل ، ولقد طبع طبعات متعددة ، منها طبعة مكتبة وهبة / في مصر ، وطبعة دار السلام بمصر وسوريا .

وفي الكتاب الثاني : [الرسول صلى الله عليه وسلم] يقدم فيه الأدلة والبراهين الدالة على ثبوت النبوة ، ويتحدث فيه عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وعن البشارات ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأبواب الكتاب على الترتيب التالي : الباب الأول : الصفات
: الباب الثاني : المعجزات
: الباب الثالث : النبوءات [89]
: الباب الرابع : الثمرات
: الباب الخامس : البشارت

وللكتاب أيضا طبعات متعددة لمكتبة وهبة ولدار السلام للطباعة والنشر .

والكتاب الثالث في هذه السلسلة هو الإسلام : وفي هذا الكتاب عرض شامل للإسلام من جميع جوانبه ، جانب العقيدة وجانب الأخلاق وجانب الشريعة والمعاملات .
بدأه المؤلف بمقدمة طيبة عرّف فيها الإسلام ووضح جوانبه ، والكتاب مكون من أربعة فصول : هي
الفصل الأول - أركان الإسلام
الفصل الثاني - المنهج الاجتماعي والأخلاقي
الفصل الثالث - المناهج العامة

---

89 - النبوءات جمع نبوءة والمقصود بها إخبار الرسول عن المستقبل ووقوعها دليل على صحة رسالة الرسول لأنها تتحدث عن المستقبل وهو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله فدل على أن ما جاء به الرسول من عند الله . تراجع مقدمة الكتاب [الرسول صلى الله عليه وسلم] لسعيد حوى ص 3 : 22 - ط مكتبة وهبة 1397 هـ

الفصل الرابع - مؤيدات الإسلام

أما الفصل الأول فيتحدث فيه عن الأركان الخمسة للإسلام وهي الشهادتان والصلاة والصيام والحج والزكاة .
والفصل الثاني ويتحدث فيه عن المنهج الاجتماعي والأخلاقي في الإسلام
والفصل الثالث عن مناهج الحياة في الإسلام المنهاج السياسي ، والاقتصادي والتعليمي والإعلامي والعسكري والتشريعي ....
والفصل الرابع وفيه يتحدث عن مؤيدات الإسلام وفيه يتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن الجهاد وعن العقوبات الربانية التي لحقت ببعض الأمم في الدنيا وعن العقوبات الأخروية . [90]

ثانيا : دراسات منهجية صادقة : حول :
سلسلة الأساس في المنهج وتتكون من :-
1 - الأساس في التفسير
2 - الأساس في السنة وفقهها
3 - الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص .

أما الكتاب الأول وهو الأساس في التفسير فسوف نرجئ الكلام عنه للباب الثاني وهناك إن شاء الله سوف نتحدث عن منهجه في التفسير وطريقته ومصادره وأهم السمات البارزة التي يمتاز بها هذا التفسير وهذا الكتاب يقع في أحد عشر مجلداً - وعدد صفحاته 6799 صفحة ستة آلاف وسبعمائة وتسع وتسعون صفحة .

0وأما الكتاب الثاني وهو الأساس في السنة وفقهها :-
فقد قدم له بتعريف للكتاب أوضح فيه مكانة السنة النبوية ومدى توافر العلماء عليها وجهودهم حولها .... وضرورة وجود كتاب في السنة تكون الفائدة فيه مباشرة وميسرة .....
يقول موضحا الدافع لتأليفه هذه السلسلة : [الأساس في المنهج]
[وإذا كنت أرى أن من واجبات الدعاة في عصرنا أن يقدموا للناس نصوص الكتاب والسنة بأسهل عرض وأجوده وأقوم شرح وأعدله خاصة وهم يريدون أن يقدموا للعالم هذا الإسلام ، ويريدون صياغة الحياة عليه فقد وجدت من الضرورة أن توجد سلسلة في هذا الشأن وهكذا تأكد لديّ إصدار سلسلة الأساس في المنهج بأقسامها الثلاثة] . [91]

---
90 - تراجع مقدمة الكتاب [الإسلام : لسعيد حوى] ص 3: 14 ط . مكتبة وهبة 1397 هـ 1977 م
91 - الأساس في السنة / المجلد الأول ص 13 ط دار السلام ط 1 1413 هـ

أما الدافع لتأليفه [الأساس في السنة] فيقول : [وإذا كنت أتصور أنه لا تنضج شخصية الداعية والقائد المسلم في عصرنا إلا باستكماله دراسة عدة أمور منها السنة النبوية : فقد رأيت أنه لا بد من كتاب جامع لنصوص السنة الصحيحة والحسنة يدرسه كل من يتصدر للدعوة إلى الله ، أو تؤهله مؤهلاته لذلك ، أو يقدمه إخوانه للقيادة الراشدة وكان هذا عاملاً من عوامل تأليف هذا الكتاب] هذا إلى جانب عوامل أخرى كثيرة ، ذكرها المؤلف قصداً أو ضماً ، أما عن منهجه في هذا الكتاب ، فلقد وضحه في مقدمته ، وفيها يقول [تستطيع أن تقول إذا قرأت هذا الكتاب أنك كدت أن تحيط بمعاني السنة النبوية لأنه حوى الهدى النبوي الذي روته أمهات كتب السنة : وهي

صحيح البخاري	صحيح ابن حبان
صحيح مسلم	صحيح ابن خزيمه
سنن ابن داود	سنن النسائى
سنن الترمذى	موطأ الإمام مالك
مسند الإمام أحمد	مسند أبى يعلى الموصلي
مستدرك الحاكم	المعاجم الثلاثة للطبرانى
مسند الدارمى .	

وما تيسر جمعه من غير هذه الكتب من صحيح السنة وحسنها . (92)

ويقول عن طريقته في التخريج [وقد ألزمت نفسي ألا آخذ من هذه الأصول إلا حديثا صحيحاً أو حسناً وقد أدخلت في هذا الكتاب بعض ما صادفني مما ليس في الكتب السبعة عشر [السابق ذكرها] فتميز هذا الكتاب على كتب الجمع الأخرى بأنه ما حوى إلا الصحيح والحسن . (93)

أقسام الكتاب

=====

ويقول الشيخ سعيد [وقد جعلت هذا الكتاب مقدمة وخمسة أقسام]

---

92 - المرجع السابق المجلد الأول ص 14 ، 25

93 - المرجع السابق المجلد الأول ص 25

المقدمة : وفيها تعريف بهذا الكتاب ومنهج البحث فيه ، وإلمام بأصوله ، وتعريف بالجهود الكبرى التي جمعت بين هذه الأصول وأفدت منها ..
والقسم الأول : في السيرة النبوية لأن التعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم مقدم على التعريف بالرسالة ولأن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم هو مقدمة لتلقى هديه .
ويقع القسم الأول في أربعة مجلدات .
والقسم الثاني : في العقائد لأنها هي الأساس وعنها يصدر العمل وإذا صحت وجد القبول ولأنها أول ما يخاطب به الإنسان وهي المظهر الأول لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فناسب أن يكون أول ما يطالعه الإنسان بعد السيرة النبوية هي العقائد ، وقد جمعت في قسم العقائد بين الفهم الفطري للنصوص ومباحث الأصوليين ، وتحقيق المحققين .[94]
والقسم الثالث : في العبادات الرئيسية وفيه يتحدث عن العبادات وعن الأذكار وتلاوة القرآن وعن المبادرة إلى فعل الخير والاقتصاد في العمل ومجانبة الغلو ويقع في سبع مجلدات ولقد خصص فيه مجلداً كاملاً لعلوم القرآن تحدث فيه عن القرآن وتلاوته وعلومه
0القسم الرابع : في الأخلاقيات وأحكام الحياتيات والعاديات وفيه يتحدث عن الأخلاق والمعاملات المختلفة من خلال مصادر السنة الأصلية المتعلقة بجميع أبواب الأخلاق وأحكام الحياة .[95]
القسم الخامس : قسم الحكم وحقوق الإنسان : جمع فيه المؤلف الأحاديث الصحيحة والحسنة من مصادرها الأصلية ، الواردة في شئون الحكم والسياسة والعلاقات الدولية وحقوق الإنسان .[96]
القسم السادس : الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص وهذا الكتاب بمثابة القاعدة والأساس لسلسلة الأساس في المنهج وفيه معالجة للقضايا الأصولية ، [إلا أن المنية عاجلت المؤلف قبل أن ينهي هذا الكتاب ولعل الله أن يهيئ له من يتمه] .[97]

---

94 - الأساس في السنة المجلد الأول ص 32 بتصرف تم طبع هذا القسم وصدرت النسخة الأولى منه في هذه الأيام وصدر في سبع مجلدات يراجع الأساس في السنة وفقهها القسم الثالث ط دار السلام ط 1 1414 هـ 1994 م
95 - ولا يزال هذا الكتاب تحت الطبع
96 - وهذا الكتاب أيضا تحت الطبع .
97 - وسوف يتم طبع هذا الكتاب بعد إتمامه ونسأل الله أن يهيئ له من يتمه .

وستقوم دار السلام إن شاء الله ، بإتمام هذا الكتاب ونشره مع تمييز ما كان من عمل المؤلف وما كان من إكمال غيره ، كما أخبرني بذلك صاحب دار السلام للطباعة والنشر .
ويطيب لنا بعد هذا العرض : أن ننقل هذه الكلمات عن المؤلف التي تدل على تواضعه وعلى إذعانه للحق0
يقول الشيخ سعيد [... وها أنذا أكرر توجيه الدعوة لأهل العلم والفضل أن يوافوني بأي وجهة نظر مباشرة أو عن طريق الناشر أستكمل فيها ما فاتني ، أو أحرر فيها ما ذكرته ، أو أضيفها إلى هذا الكتاب ، فكل ذلك أفتح له صدري بل أطلبه وليس عندي من حرج أن يردّ عليّ من يرد في كتاب أو مجلة أو صحيفة فإنني أرجو أن أستفيد من ذلك كله لله وفي الله] .
ويقول موضحاً أن هذا الكتاب لا يمثل خاتمة المطاف ، ولكنه خطوة على الطريق :
[وإذا وجد أحد أن هذا الكتاب لم يبلغ الكمال فأي جهد بشرى بلغ الكمال ؟ .... إنما و خطوة في طريق جمع الأحاديث الصحيحة والحسنة لعلى أو لعل غيري يسير خطوات أخرى نحو الكمال ، ... والله الموفق] . [98]

ثالثا: دراسات منهجية هادفة في التربية والتزكية والسلوك
=================

وهذه السلسلة تتكون من ثلاثة كتب هي :1- تربيتنا الروحية .

2 - المستخلص في تزكية الأنفس

3 - مذكرات في منازل الصديقين والربانيين

- يتحدث المؤلف في الكتاب الأول في سبعة عشر بابا عن كثير من القضايا الصوفية محتكماً إلى الكتاب والسنة ، من هذه الأمور التي يعالجها المؤلف مجالات علم التصوف و دراسة التصوف المحرر في ضوء الكتاب والسنة كما يتحدث عن الأوراد والأذكار .
كما يشمل حديثه : النفس ومطالبها وأمراضها ويتناول المجاهدة وأركانها ، ثم يتحدث عن السير إلى الله وعن الرؤى والكشف

---

98 - الأساس في السنة المجلد الأول ص 33

والإلهام والكرامة ، ويعالج قضية الشيخ والبيعة إلى جانب موضوعات أخرى عالجها الكتاب . ([99])

* والكتاب الثاني في هذه السلسلة هو : المستخلص في تزكية الأنفس وهذا الكتاب استخلصه المؤلف من إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالى رحمه الله .

ويشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أبواب : هي :-

* الباب الأول : في آداب العالم والمتعلم .

* الباب الثاني : في مسائل التزكية وفي هذا الباب يتحدث عن العبادات وتلاوة القرآن والذكر والتفكر والمراقبة والمحاسبة والمجاهدة والمعاتبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعن الخدمة والتواضع ومعرفة مداخل الشيطان على النفس وقطع الطريق عليها

ومعرفة أمراض القلب وكيفية الخلاص منها .

* الباب الثالث : ماهية زكاة النفس وفيه تحدث عن أمراض النفس وكيفية معالجتها ، وانتقل إلى الحديث عن المنتجات وهي التوحيد والإخلاص والورع والصدق والزهد والتوكل والمحبة والخوف والرجاء والشكر والصبر والتسليم والرضا والمراقبة والمشاهدة ثم ختمه بالحديث عن التوبة ، ثم تحدث بعد ذلك عن التخلق بأسماء الله الحسنى على مقتضى العبودية وبشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تحدث عن ضبط اللسان ، وانتهي إلى الحديث عن أدب العلاقات موضحاً حقوق المسلم وآداب المعاملة . ([100])

* أما الكتاب الثالث في هذه السلسلة فهو [مذكرات في منازل الصديقين والربانيين]

وفي هذا الكتاب يقدم المؤلف منهجاً متكاملاً لإحياء الربانية والصديقية لما لهذا المقامين من أهمية ، خصوصا في هذا العصر 0

الذي يحتاج فيه المسلمون إلى قادة ربانيين وإلى علماء مخلصين تجتمع حولهم القلوب وتهفو لهم الأرواح وتتوق لهم النفوس ، ولأن الجهة التي ركزت على إحياء هذين المقامين هي الصوفية وقد خالط الصوفية في هذه الأيام كثير من الأباطيل والأوهام مما يجعلها غير مؤهلة لحمل هذه المسئولية ، ولابد من العودة إلى الكتاب والسنة لمعالجة هذه القضية مع الاستفادة من مراجع الصوفية واستخلاص النافع منها والصحيح ،

---

[99] - يراجع كتاب تربيتنا الروحية ط مكتبة وهبة ، ط / دار السلام للطباعة والنشر

[100] - يراجع كتاب المستخلص في تزكية الأنفس ط دار السلام 1413 هـ

هذا وقد انقسم الناس نحو الصوفية إلى ثلاث فرق :
فرقة تؤيد الصوفية تأييداً مطلقاً دون نظر أو اعتبار .
وفرقة ترفض الصوفية وكل ما يرتبط بها رفضاً مطلقاً .
وفرقة ثالثة تتوسط بين هاتين الفرقتين فلا هي تؤيد الصوفية وتبيح قراءة كتبهم دون تمحيص أو تدقيق ولا ترفض الصوفية رفضاً مطلقاً فتحرم كتبهم ولكنها تميل إلى العدل والإنصاف والتمحيص والتدقيق والتحقيق والاستفادة من التراث الصوفي - ما يتفق منه مع الكتاب والسنة - ومحاولة تنقيته من الشوائب والشطحات وتخليته من الدخيل عليه ، وتقديمه للمسلمين بصورة واضحة صادقة ، موافقة للكتاب والسنة ، ويقف الشيخ سعيد مع الفرقة الثالثة فيحقق ويدقق ويقدم التصوف بصورة واضحة جلية موافقة الكتاب والسنة .
ومن الملاحظات التي وقفنا عليها في أول هذا الكتاب ما قام به الشيخ بجمع عدد من الأحاديث النبوية ليعرف القارئ أن المعاني التي ستمر عليها في هذا الكتاب مستنبطة من الكتاب والسنة .
ويتكون هذا الكتاب من أقسام أربعة ، - هي :-
1 - القسم الأول : خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
2 - القسم الثاني : توجيهات للطالبين
3 - القسم الثالث : توجيهات للمريدين
4 - القسم الرابع : توجيهات الشيوخ . [101]

رابعا : سلسلة في البناء
[دراسات منهجية هادفة في البناء]

وتتكون هذه السلسلة من أحد عشر كتابا:
هي : 1 - جند الله ثقافة وأخلاقا
2 - من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك
3 - مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين
4 - دروس في العمل الإسلامي
5 - فصول في الإمرة والأمير
6 - في آفاق التعاليم
7 - هذه تجربتي ... وهذه شهادتي
8 - رسائل " كي لا نمضى بعيدا عن احتياجات العصر "
9 - جولات في الفقهين الكبير والأكبر
10 - جند الله تخطيطا

---

101 - يراجع كتاب مذكرات في منازل الصديقين والربانيين ط دار السلام 1413 هـ

11 - جند الله تنظيما

وسوف نتحدث عن هذه المؤلفات موضحين مضمونها ،

1- جند الله ثقافة وأخلاقا

هذا الكتاب يمثل دفعة لجند الله للوصول بهم إلى المستوى الثقافي والأخلاقي الذي يؤهلهم للقيام بمهام هذه الجندية .

وفي مقدمة هذا الكتاب: بيان بأحوال العالم الإسلامي ، والمؤامرات المتواصلة على المسلمين ، وواجبات حزب الله ،

وهذا الكتاب مكون من قسمين:- القسم الأول : جند الله ثقافة: وقدم المؤلف فيه بالحديث عن واقع المسلمين الثقافي والتربوي ، ثم انتقل إلى الحديث عن العلوم التي ينبغي دراستها لجند الله حتى يصلوا إلى المستوى الثقافي المطلوب .

والقسم الثاني: من هذا الكتاب - جند الله أخلاقا- وفية بيان للأخلاق التي يجب أن يتحلى بها من جندوا أنفسهم لله . [102]

2- من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك0

ويمثل هذا الكتاب دفعة أخرى على الطريق ، طريق الجندية، بتوضيح:-إن هذا المقام هو مقام الأنبياء، وان العداء بين الحق والباطل عداء مستمر، وان التشبث بهذا الطريق يؤدى إلى النصر .

وينقسم الكتاب إلى ستة أبواب :-هي:

الباب الأول البد يهيات

الباب الثاني تراب الأنبياء

الباب الثالث أعداء الأنبياء

الباب الرابع: الصراع أبدي [103] ولكن أمة الله مريضة 0

الباب الخامس: الطريق إلى الصحة والنصر بأذن الله.

الباب السادس: دعوة الأنبياء لواء شرف لمن يحمله

0خاتمة00 [104]

3- مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين0

---

[102] - يراجع -(جند الله ثقافة وأخلاقا) تأليف الشيخ سعيد حوى ط دار السلام للطاعة والنشر 1417هـ

[103] -[من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك] ط مكتبة وهبة

[104] - التعبير بأبدي تعبير غير صحيح فإن هذا الصراع له أمد ينتهي فيه .

وفي هذا الكتاب : مناقشة لكثير من القضايا وإجابة على العديد من التساؤلات التي يطرحها الواقع المعاصر وتشغل بال الكثير من المسلمين

ويقدم المؤلف صورة لجماعة الإخوان المسلمين، موضحا نشأتها ومناقشا تلك التسمية التي ارتبطت بهذه الجماعة ،واصل هذه التسمية ومدلولها0

كما يتحدث المؤلف: عن البناء الفكري والحركي لجماعة الإخوان المسلمين ويتحدث عن مؤسس هذه الجماعة الأستاذ حسن البنا رحمه الله

وفي الكتاب يناقش المؤلف بعض الاعتراضات ويفند بعض الاتهامات التي وجهت إلى هذه الجماعة ،والسمة العامة لهذا الكتاب هي الموضوعية والإنصاف فالمؤلف يرحب بأي عمل إسلامي وأي جهد في مجال الدعوة يقوم على أصول إسلامية بعيداً عن الإفراط والتفريط ، عن الغلو وعن التقصير ، بل إنه يدعو في كثير من مؤلفاته إلى التنسيق بين هذه الاتجاهات والتوفيق بينها .[105]

4- دروس في العمل الإسلامي

هذا الكتاب يقدم للعاملين في حقل الدعوة ثلاثين درساً ، في الدعوة والثقافة والتخطيط والتنظيم والتنفيذ والتربية .

ويضع المؤلف في هذا الكتاب يده على مواضع الخلل ومواطن العلل في الأمة الإسلامية ويتجاوز ذلك لبيان الحلول والأدوية ، وكما يتحدث عن أسباب ضعف هذه الأمة فإنه يتحدث أيضاً عن التيارات المعادية للإسلام ، وكيفية مواجهتها .

ومن هذا الكتاب يتبين لنا بعد نظر المؤلف ، وسعة أفقه وتطلعاته المستقبلية ، ومعايشته لواقع المسلمين المعاصر

ويشير المؤلف في هذا الكتاب إلى [أن علل المسلمين تكمن في خمسة أمور :-

1 - الجانب الثقافي . 2 - الجانب التربوي . 3 - الجانب التخطيطي.

4 - الجانب التنظيمي . 5 الجانب التنفيذي .[106]

5 - فصول في الإمرة والأمير

كما تحدث المؤلف عن الجندية فلقد تحدث عن القيادة ، ووجّه هذا الكتاب إلى الأمراء .

---

105 - يراجع [مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين] ط مكتبة وهبة

106 - يراجع كتاب دروس في العمل الإسلامي ط 1413 هـ 1983 م ط دار السلام

وقدّم لهذا الكتاب ببيان خطورة أمر الأمراء موضحاً أن ذلك تكليف لا تشريف ، ثم تحدث عن أخلاق الأمراء التي ينبغي أن يكونوا عليها وعقد فصلاً للحديث عن القدوة العليا والأسوة الحسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم تحدث عن أمراء العدل وأمراء الجور وحال كلّ وتحدث بعد ذلك عن أركان الحكم ودعائمه ([107])

6 - في آفاق التعاليم

دراسة في آفاق رسالة التعاليم التي ألفها الأستاذ حسن البنا رحمه الله .

ورسالة التعاليم رسالة موجهة إلى طراز خاص وإلى فئة خاصة على درجة عالية ومستوى رفيع من الفهم والعمل ، فإذا عرفنا أن درجات الانتساب إلى الإخوان المسلمين متفاوتة ، فهذا منتسب وهذا مساعد وهذا عامل وهذا مجاهد وهذا نائب .

فلقد توجهت هذه الرسالة للمجاهدين ، وإنما توجهت هذه الرسالة إلى هذه الفئة خاصة لما فطن إليه الأستاذ البنا رحمه الله : أنه ليس لدى كل مسلم في عصرنا استعداد تام للقيام بأرفع أنواع الالتزام الإسلامي .

أما عن مهمة الشيخ سعيد في كتابه [في آفاق التعاليم] فإنه عاش في ظلالها وجال في آفاقها .

يقول الشيخ سعيد : [تعرضت رسالة التعاليم لقضية رئيسية في سياقها الرئيس هي الشخصية الإسلامية المعاصرة ،مقوماتها ، وواجباتها ..... ومن خلال هذا العرض : تعرضت للأهداف التي يجب أن تحققها هذه الشخصية وتعرضت لمراحل الدعوة . ([108])

ويوضح الشيخ سعيد طريقته في هذا الكتاب فيقول : [ونحن سنسير في هذا البحث متكلمين عن الأهداف وهذا بالضرورة يقتضي كلاماً عن الوسائل ثم عن المراحل ثم عن المقومات ثم عن الواجبات ... من خلال التعليق على كلام الأستاذ البنا .

فهذه أبواب أربعة هي في صلب الكلام عن رسالة التعاليم ، وسنعقد قبل ذلك أبواباً ثلاثة نتحدث فيها عن حسن البنا وعن مفاتيح الفهم لدعوته وعن المقاصد الكبرى لهذه الدعوة ، فصارت الأبواب سبعاً ولقد ذكرنا بابا ثامنا تحت عنوان فصول متممة ثم كان الختام للكتاب في الباب التاسع 0 ([109])

---

[107] - -يراجع كتاب فصول في الإمرة والأمير ط 1403 هـ 1983 م ط دار السلام

[108] - في آفاق التعليم ص (9) ط مكتبة وهبة

[109] - في آفاق التعاليم ص 9

7 - هذه تجربتي .. وهذه شهادتي

ويتألف هذا الكتاب من جزأين :

1 - الجزء الأول ويتحدث فيه المؤلف عن حياته ابتداء من مولده 1935 م وينتهي بأحداث 1987م وهذا الجزء مطبوع 0[110]

2 - الجزء الثاني وفيه يعالج المؤلف المرحلة الثانية من حياته من 1987 م إلى 1989 م وهذا الكتاب لم يطبع بعد .

أما عن محتوى الأول فإنه يقع في أربعة عشر بابا ومقدمة وخاتمة وفيه يتحدث المؤلف عن سيرته الذاتية ابتداء من مولده وكنت أتمنى أن أسجل هنا كل كلمة قالها في المقدمة ، كما كنت أتمنى وأنا أوجز حياته الواسعة وأطويها في صفحات قلائل ولكن طبيعة البحث وواقع الدراسة لا يسمح لنا بالاسترسال والإسهاب .

ولكنني أكتفي بنقل هذه العبارة من الكتاب [يقول الشيخ سعيد في المقدمة أبدأ كتابة هذه المذكرات وقد قاربت الخمسين وقد انتهي القرن الرابع عشر الهجري وبدأ القرن الخامس عشر ، ونرجو أن نكون على أبواب مرحلة جديدة قد خدمها ما سبقها ، ولقد فكرت كثيراً في أن ألتزم الصمت بقية حياتي ، وأن ألزم نفسي بالعزلة التي أجبرني عليها المرض تاركا لتجربة القرن الرابع عشر أن تأخذ مداها ، ولكن غلب علي أنني وجدت مصلحة في كتابة هذه المذكرات] .[111]

ثم يتحدث عن سبب نشره لهذه المذكرات فيقول : [ولئن أصبح أدب المذكرات جزءاً رئيسياً من آداب عصرنا ، فقليلة هي المذكرات التي تستأهل النشر أو القراءة ، ولولا أنني أعتبر هذه المذكرات مفيدة ولو لبعض الناس ما نشرتها أسأل الله تعالى أن تكون خالصة لوجهه الكريم وألا يكون فيها حظ لنفس وأسأله أن يجعلها نفعاً خالصاً لا ضرر فيها لأحد . والله الموفق . وهو المستعان] .[112]

إضافة إلى حديث المؤلف عن حياته فإنه يتحدث عن الظروف التي عاشها وعن الأحداث العامة التي شهدها فالكتاب ليس سيرة ذاتية فحسب ولكنه شهادة على ذلك العصر الذي عاشه المؤلف وتفاعل معه ، وتأثر به .[113]

---

110 - هذه تجربتي وهذه شهادتي للشيخ سعيد حوى طبع الجزء الأول منه بمكتبة وهبة الطبعة الأولى 1407 هـ / 1987 م

111 - المرجع السابق ص 5

112 - نفس المرجع ص 6

113 - قام الأستاذ أحمد عبد العزيز أبو عامر بتلخيص هذه المذكرة في المقال الذي كتبه لمجلة البلاغ الأحد 14 رمضان 1409 هـ 9 نيسان 1989 م العدد 988 كما نشر في مجلة النذير ص 36 - ع 113 ذو القعدة 1409 هـ حزيران 1989م السنة العاشرة

8 - رسائل (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر)

وهذه الرسائل مكونة من : إحدى عشرة رسالة وهي :-

[منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة]

قوانين البيت المسلم وفيه يتحدث عن الآداب الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم في بيته ، مع أسرته ومع جيرانه مع ضيوفه .

[فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً]

فـــروض العين .   - فـــروض الكفايـــة .

- لمن تدفع صدقتك ؟

[**إحياء الربانية**] [دراسة عملية تنظيمية لإحياء مقام الربانية في هذه الأمة]

[الإجابات] إجابة على كثير من التساؤلات التي وجهت إلى الشيخ سعيد عن فكره وعن مؤلفاته وأسلوبه في الدعوة .

[عقد القرن الخامس عشر الهجري] وهي رسالة قدّمها بين يدي القرن الخامس عشر الهجري يتحدث فيها عن المشكلات والعقبات التي تواجه الصحوة الإسلامية المعاصرة وتسعى إلى إجهاضها .

ثم يتحدث عن كيفية حل هذه المشاكل والتغلب على تلك العقبات . ومهمة الفرد والجماعة وواجبات كل ، كما يقدم المؤلف خطوات متدرجة

[إجازة تخصص الدعاة]

وفي هذه الرسالة بحث في الخصائص والمقومات والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية ، ويقدم منهجاً عملياً للداعية ومنهجاً علمياً له .

[غذاء العبودية]

وهذه الرسالة حديث عن مقام العبودية وفيها يتحدث المؤلف عن التوحيد والذكر العلم ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي التصدق ـ وليس هذه فقط مغذيات العبودية ولكنها بعض منها .

[أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري]

وهذه الرسالة مخصصة للحديث عن بعض الأخلاقيات التي يستشعر المؤلف ضعفها في هذا العصر أو يريد التركيز عليها وفيها يتحدث عن الأريحيات والذوقيات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم .

[السيرة بلغة الحب والشعر]

وفي هذه الرسالة يقدم المؤلف لوناً من ألوان العرض لسيرة الرسول بلغة العواطف والمشاعر ـ ويناقش في هذا الكتاب بعض القضايا ويجيب على بعض التساؤلات التي لا تخرج عن إطار عنوان الكتاب .

[الخمينية : شذوذ في العقائد والمواقف]

وفيها يتحدث المؤلف عن بعض عقائد الشيعة الشاذة وتبنى الخمينى لها كما يتحدث عن بعض الأخطاء الفادحة والمواقف الشاذة للخمينية ولقد قامت دار عمار بالأردن بطبع هذه الرسائل في مجلد واحد كما قامت دار السلام بطبع هذه الرسائل مفردة كل رسالة على حدة .

9 - جولات في الفقهين الكبير والأكبر

عن هذا الكتاب يتحدث الأستاذ عبد الله ناصح علوان مقدّماً لهذا الكتاب فيقول : [شاءت الأقدار أن أزور الأخ العالم الداعية الأستاذ الشيخ سعيد .. وفي أثناء الزيارة أطلعني على كتابه الجديد من سلسلة دراسات منهجية هادفة في البناء وهو بعنوان جولات في الفقهين الكبير والأكبر وطلب منى على قصوري - أن أقرأ الكتاب بتمهل وتفحص ، فإذا كان ثمة ملاحظات أخذ بها بعين الاعتبار وهو فرح مسرور] . [114]

ويتحدث الأستاذ الدكتور عبد الله ناصح علوان عن القيمة العلمية لهذا الكتاب فيقول:[وفعلاً أخذت المخطوط وقرأته .. والله يعلم كم سررت لاستفادتي مما كتب وللمعالجة الفريدة التي عالجها وللبحث العميق الذي قام به، فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء ، وكما أعجبت حين تكلم عن أصول المنهج في كل ما يتصل بالعقيدة .... وأصول البحث العلمي وما يتلاءم مع صراع العقائد وتحديات العصر وكم أعجبت أيضاً حين تكلم عن أصول المنهج في كل ما يتصل باستنباط الأحكام الفقهية العملية من مصادرها الأساسية بما يتفق مع ما فعله أئمة الفقه في القديم و يتلاءم مع روح العصر وحاجات الأمم ... .] [115] .

10 - جند الله تخطيطا

هذا الكتاب كما يعتبره مؤلفه تتويج لسلسلة دراسات منهجية هادفة في البناء وهي موجهة لمن ينتدب نفسه من الأمة الإسلامية ليأخذ على عاتقه القيام الحكيم المتأني بالأمور التي

---

114 - جولات في الفقهين الكبير والأكبر - مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله ص - 5 ط مكتبة وهبة ط 2 1401 هـ 1981 م

115 - المرجع السابق ص - 5 ، 6 .

تحتاجها الأمة الإسلامية في الثقافة أو في الأخلاق أو في الدفع نحو التخطيط السليم والتنظيم المناسب . [116]

يقول المؤلف [لقد امتلأت الساحة الإسلامية بأنواع من العمل الإسلامي تثير الإعجاب في كثرتها وتنوعها ، ولكل نوع من العمل تنظيمه وخطته ووسائل تنفيذه ، والتحقيق أن التنفيذ الجيد والتنظيم الجيد يتبعان التخطيط الجيد ، وهذا الكتاب يتكلم عن التخطيط الأعلى للأمة الإسلامية ، ويرسم الحد الذي لابد منه للتنظيم والتنفيذ] . [117]

ويقسم المؤلف هذا الكتاب إلى بابين

الباب الأول : يتحدث فيه عن المرتكزات التي لابد منها لأي تخطيط ناجح

الباب الثاني : وفيه يتحدث عن ساحات التخطيط في العمل الإسلامي المعاصر.

11 ـ جند الله تنظيما

هذا الكتاب هو الكتاب الحادي عشر في سلسلة دراسات منهجية في البناء وهو آخر من صدر للشيخ سعيد .

وقدم لهذا الكتاب الشيخ محمد سعيد حوى معرّفاً بالمؤلف والمؤلف ومتحدثا عن الملامح العامة والسمات البارزة لمؤلفات الشيخ سعيد .

ويقع الكتاب في خمسة أبواب : وهي كما يلي

الباب الأول : ويتحدث فيه عن نقاط مضيئة متعلقة بموضوع هذا الكتاب

الباب الثاني : مبادئ في النظرية التنظيمية

الباب الثالث : في درجات العضوية

الباب الرابع : في ساحات عمل المرشد

الباب الخامس : في النظام الأساسي والداخلي للجمعية العالمية لعلماء الإسلام ودعاته .

وإضافة إلى مقدمة الكتاب وأبوابه الخمس يضم الكتاب عدة ملاحق وهي عبارة عن مجموعة نصوص مقتبسة من بعض كتب المؤلف الأخرى تتعلق بالنظرية التنظيمية وقواعدها المناسبة للحركة الإسلامية المعاصرة ، يقول الشيخ محمد سعيد عن هذا الكتاب : [ويعتبر هذا الكتاب هو المتمم لكتاب جند الله ثقافة وأخلاقا ، وكتاب جند الله تخطيطا ، فإذا كان الأول بيانا للنظرية

---

[116] - يرجع جند الله تخطيطا سعيد حوى ص 7 ـ بتصرف ط مكتبة وهبة ط ا 1408 هـ

[117] - نفس المرجع ص 9

الثقافية والأخلاقية ، والثاني بيان لاحتياجات الأمة وساحات العمل وما هو المطلوب منها ، وكيف تعمل للوصول إلى المطلوب ؟ فإن هذا الكتاب بيان للكيفية التي في إطارها يتم ما سبق في الكتابين] . [118]
وبمناسبة الحديث عن مؤلفات الشيخ سعيد حوى يطيب لنا أن نشير هنا إلى أن المنية عاجلت الشيخ رحمه الله وكان في نيته أعمال أخرى ، وعلى سبيل المثال فقد وعد الشيخ أن يؤلف كتابا في التاريخ الإسلامي ولكن المنية عاجلته [119] فرحمه الله وأجزل له الثواب على ما قدمه من مؤلفات قيمة ، أثرت المكتبة الإسلامية .

• مقاصد التفسير وسماته وطريقته

• مقاصده من التفسير

حينما أقبل الشيخ سعيد على تفسير القرآن كانت له أهداف محددة ومقاصد واضحة سعى في تحقيقها من خلال التفسير، ولقد أشار في مقدمة الكتاب إليها كما أجملها في خاتمته 0
ففي المقدمة : كتب تحت عنوان (بعض احتياجات عصرنا بالنسبة للقرآن) جملة من الأهداف التي قصدها من التفسير ، وهذه الأهداف هي:
1- الحديث عن الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم حديثا موسعا ، يعين على فهم القرآن ويبرز جانبا هاما من جوانب إعجاز النظم القرآني كما يرد من خلال ذلك على شبهات أعداء الإسلام حول ترتيب القرآن ووحدته الموضوعية 0
2- الإجابة على كثير من التساؤلات التي تتردد في هذا العصر ، والاستفادة من العلوم العصرية ، وبيان موقف القرآن منها0
3- الإجابة على كثير من الشبه والاعتراضات التي طرحها أعداء الإسلام وتولى كبرها أتباعهم ممن ينتسبون إليه ، حول إمكانية الحياة في ظلال القرآن وتطبيقه في شتى مجالات الحياة0
4- تكوين الشخصية المسلمة التي تتحقق بمعاني القرآن ، وتترجمه إلى واقع عملي ، وإذا وجد الفرد المسلم على هذا

---

118 - جند الله تنظيما للشيخ سعيد حوى ط 1 السلام 1413 هـ 1993
119 - يراجع الأساس في السنة وفقهها - قسم السيرة المجلد الثالث ص 1548 حيث أشار في هذا الموضوع إلى نيته في تأليف كتاب موجز في التاريخ

الأساس فسوف توجد الأمة المسلمة التي تستحق النصر والتمكين ،وتؤدى دورها في هذا الوجود0
5- هذا إلى جانب ضرورة التيسير على القارئ المسلم ، واستخلاص الفوائد من أمهات كتب التفسير لأن المسلم المعاصر يعجبه أن يأخذ خلاصة التحقيق بأدلته المباشرة ، أما التحقيق نفسه فيمكن للمتخصصين أن يرجعوا إليه في مواضعه .
6- عرض العقيدة الإسلامية عرضا صحيحا بعيدا عن تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ، وخاليا من المشكلات الكلامية والتعقيدات الفلسفية مع الرد على الملل والنحل المخالفة للإسلام والرد على المذاهب المنحرفة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة .

- **سمات التفسير**

1. يعد الأساس في التفسير من كتب التفسير التحليلي ؛ التي تقوم بعرض الآيات ، وتفسيرها تفسيرا حرفيا ، ثم تقديم المعنى العام لها . بالإضافة إلى ذكر الفوائد وتحرير النقول التي تعين على فهم القرآن .
2. كما يعتبر التفسير من كتب التفسير بالرأي - مع اشتماله على جانب كبير من المأثور ، لكن العبرة في تحديد ذلك هو الأعم الأغلب 0
3. كما يتميز بطريقة فريدة في التفسير - لم يسبق إليها - ، فبناء على أدلة ومعان ومعالم قام المفسر بتحديد أقسام القرآن الأربعة وهي (الطوال ، والمئين ، والمثاني ، والمفصل) ، وكل قسم من هذه الأقسام يمثل عدة مجموعات ، يجمعها رابط واحد ، باستثناء القسم الأول ، الذي اعتبره مجموعة واحدة ، وكل قسم ، وكل مجموعة لها وحدتها الموضوعية .
أما بالنسبة للسورة فبعد النظرة الكلية الشاملة لها يقوم بتقسيمها إلى مجموعات ومقاطع وفقرات ، ولكل تقسيم وحدته الموضوعية وصلته بباقي التقسيمات في السورة ، ولكل ذلك صلته بمحور السورة من سورة البقرة 0
4. من سمات التفسير كثرة نقوله عن كتب التفسير ، ويراعى المفسر فيما ينقل ما يتناسب مع مقاصد التفسير ، فيتحرى

في هذه النقول ما يقوم بهذا الغرض ، كما أنه لا يكتفي بمجرد النقل ، ولكنه يعقب على ما يحتاج إلى تعقيب ، ويرجح بين الأقوال إذا استدعى الأمر ذلك ، أو يوفق بينها إذا أمكن ذلك ، ولقد ظهرت شخصية الشيخ فيما نقل وظهرت في تعليقاته ، كما ظهرت في آرائه المبثوثه في التفسير .

5. وفي تفسيره لآيات العقيدة يتميز بأسلوبه الواضح الميسر ، الذي يعين على فهمها ، ويساعد على ترسيخها ، كما يقوم بالرد على الاعتقادات الفاسدة والمذاهب الباطلة والأفكار المنحرفة ، ويلتزم في ذلك كله بمنهج الكتاب والسنة ، ويعتمد على فهم السلف الصالح والأئمة الأعلام .

6. وفي تفسيره لآيات الأحكام ، يسير وفقا للقواعد الكلية التي بنى عليها التفسير فيفسرها بطريقة واضحة ينتفع بها المتخصص وغير المتخصص ، ولا يكتفي بمجرد النقل عن كتب التفسير والفقه ، بل إنه يقوم بترجيح الآراء دون تحيز لمذهب فقهي ، وفي بعض الأحيان يحيل إلى كتب الفقه ، أو يعول على كتبه التي عالجت موضوعات فقهية .

هذا إلى جانب إبرازه لجانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم ، ورده على شبه أعداء الإسلام حول الشريعة الإسلامية ، وتأكيده على حتمية تطبيقها لما فيها من صلاح للعباد وخير للبلاد

7. كما يتعرض في مواضع متفرقة من التفسير للتصوف ، فيرد على انحرافات المتصوفة وشطحاتهم في فهم القرآن ، وتأويلاتهم الفاسدة التي يسعون من خلالها إلى إثبات اعتقاد باطل أو تأصيل فهم ضال ، وهذه ميزة هامة من ميزات التفسير ، سيما وأن الشيخ سعيد من المهتمين بدارسة التصوف ، ومن أبرز الكتاب المعاصرين في مجاله .

8. وبالنسبة للمسائل النحوية والأساليب البلاغية فإن المفسر لم يتوسع في ذكرها ولم يتعرض لها كثيرا إلا في حدود ما يخدم أهداف التفسير كالتوسع في فهم المعنى ، أو في معرفة مدى اتصال السياق ، أو في الإشارة إلى إعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه 0

كما أنه يلتزم بقراءة (حفص) ، ولم يتعرض لغيرها إلا في مواضع قليلة، وفي إطار ما يخدم أهداف التفسير كأن يعين على فهم المعنى ، أو يشير إلى إعجاز علمي في القرآن ، أو يحسم في قضية خلافية .

9. كما يتميز التفسير بنقده للإسرائيليات التي أوردها بعض المفسرين وتوجيهه الآيات توجيها صحيحا ، وبعده عن التفصيلات والتفريعات التي انشغل بها أغلب المفسرين .
10. كما يتميز برجوعه إلى العهدين القديم والجديد ، ومقارنته بين ما ورد في القرآن من حقائق ثابتة صحيحة ، وبين ما ورد في تلك الكتب من خرافات وأباطيل ، مثبتا من خلال ذلك إعجاز القرآن وصدقه وهيمنته على الكتب السابقة ، ومؤكداً أنه لا يمكن الاعتماد على كتب العهدين بأي حال من الأحوال ؛ بعد أن داخلها التحريف وخالطها التزييف .
11. ومن أهم مميزات التفسير اشتماله على نظرية كاملة في الوحدة الموضوعية شاملة لجميع سور القرآن ، وهي قائمة على اعتبار سورة البقرة ، تفصيلا لما أجملته سورة الفاتحة ، وأن ما بعد سورة البقرة تفصيل لها ؛ ولكل قسم ومجموعة ولكل سورة وحدتها الموضوعية ، ومحورها من سورة البقرة التي تقوم بالتفصيل فيه . وهذه النظرية على هذه الصورة لم يسبقه إليها أحد 0
12. كما يتميز بعرضه لقضية الإعجاز عرضاً ملائماً ومناسباً لمعطياته من علوم ، وشاملاً لجميع أوجه إعجاز القرآن في النظم والأسلوب ، وفي الموضوع من خلال الآيات الكونية والآيات الإنسانية ، ومن خلال حديث القرآن عن أخبار من قبلنا وعن أنباء ما بعدنا وعن حكم ما بيننا
13. ويتميز التفسير بسلاسة الأسلوب وسهولة الألفاظ ، ومراعاة مقتضى الحال ، وملائمة طبيعة القراء على تفاوت درجاتهم في العلم والفهم 0
14. كما يتميز برده على كثير من الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام ، وتولى كبرها أدعياؤه ، أصحاب الأقلام المأجورة والألسنة المسعورة حول الإسلام بوجه عام ، وحول القرآن الكريم على وجه الخصوص .
15. ومن سمات التفسير أيضا إجابته على كثير من التساؤلات التي تشغل بال المسلم المعاصر والتي تطرحها ظروف العصر وتفرضها أوضاعه .

كيف تأهل الشيخ سعيد لتفسير القرآن ؟

بدأ ارتباط الشيخ بالقرآن الكريم مبكرا فقد كان كثير التدبر عميق النظر في آيات القرآن، ويرجع ذلك إلى طبيعته وفطرته النقية الخالصة ،وحسه المرهف وفكره الثاقب الذي تمتع به منذ صغره وحمله على الإقبال على كتاب الله تعالى حفظا وتدبرا ، فأتم حفظه في مدة يسيرة وأجاد تلاوته في فترة وجيزة، وفي

مقدمة التفسير يشير إلى تلك البداية المبكرة ، مع التفسير00 فيقول :[ولقد من الله على منذ الصغر أنني كنت كثير التفكير في أسرار الصلة بين الآيات والسور ووقع في قلبي منذ الصغر مفتاح للصلة بين سورة البقرة والسور السبع التي جاءت بعدها] 000 إلى آخر ما ذكره . [120]

وكان كثير التردد على قراء عصره يلتمس منهم المزيد من أحكام التجويد وكان شغوفا بدروس العلم وخصوصا مجالس التفسير0

وعن أحدها يتحدث الشيخ في كتابة هذه تجربتي فيقول:[000 وزرنا الشيخ أحمد الحارون في بيته وكانت جلسة عجيبة بما حوته من فوائد وعلوم كان يسألنا عن بعض آيات القرآن ثم يأتينا بأوجه جديدة لا تخطر على بال ومع ذلك كنا نسلم له فيما يقول لوضوح الحجة عنده ، رحمه الله] . [121]

وبتعايش الشيخ مع القرآن بقلبه وعقله وروحه وجوارحه فتح الله عليه ، إلى جانب تأهله لتفسير القرآن تأهلا علميا بما حصله من علوم وتاريخ الشيخ وحديث الناس عنه خير شاهد على حرصه ومداومته على طلب العلم وتجشم الصعاب في تحصيله ، هذا إلى جانب مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة والتي قدمت اصدق بيان واعظم برهان على استحقاقه لهذا الشرف العظيم شرف تفسير القرآن الكريم .

وكثيرا ما كان يجتمع الشيخ سعيد مع إخوانه يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، وعن هذه اللقاءات المثمرة بقول الشيخ سعيد في تفسيره :[جرينا في تدارسنا للقران مع بعض الاخوة أن نقرأ السورة أو القدر الذي نريد تدارسه ،ثم نتعرف على مفردات السورة ، ثم نقف عند الأوامر والنواهي ، ثم نقف وقفة عند الأحكام الفقهية إن كان في السورة آيات أحكام ثم نبحث عن الأخلاق التي تعرضت لها السورة، أخلاق الكافرين أو المنافقين أو أخلاق المتقين، فنقف عندها الوقفات الطوال ، فكنا نخرج من السورة ومن المكان الذي تمت فيه المذاكرة بالكثير من العلم والعمل ، ثم نتواصى بالجانب العملي 000 وإننا لنوصى أنفسنا وإخوتنا بمثل هذه المدارسة وهذا الأخذ فبدون مدارسة للقرآن وبدون التزام يضعف السير ولا تنمو التقوى] . [122]

---

120 - الأساس في التفسير المجلد الأول ص21

121 - هذه تجربتي وهذه شهادتي سعيد جوى ص47

122 - الأساس في التفسير المجلد الحادي عشر ص 6251، 6252 بتصرف

هذا إلى جانب عوامل أخرى متعددة كان لها أثرها في اتجاه الشيخ سعيد إلى تفسير القرآن وفي خروج التفسير في هذه الهيئة الحسنة وعلى هذه الصورة الطيبة ومن أهم هذه العوامل وأعظمها أثرا : عامل البيئة وظروف العصر الذي عاشه الشيخ سعيد وتعايش معه، ولكل عصر ظروفه وملماته ومشاكله وعقباته، والمفسر الناجح هو الذي يعالج تفسيره بروح العصر، ويركز اهتمامه على قضاياه ، والمفسر الناجح هو الذي يجعل من مقاصد القرآن وأهدافه مقاصد له وأهدافا ، فالقرآن الكريم رسالة الله إلى البشر ، وفي طياته نظام شامل وتشريع كامل ومنهج واقعي يراعى الفطرة الإنسانية بما تحققه تعاليمه من توازن بين متطلبات الروح والجسد وبين مصالح الفرد والمجتمع ، وهو بهذا كله يقود الإنسانية إلى الخير ويسعى بها إلى الفلاح ويضمن لها السعادة في الدنيا والآخرة .

ومنهج القرآن يختلف عن المناهج القاصرة ، الوضعية ، النظرية ، التي لا تطبيق لها إلا في عالم المثل والخيالات ، تلك العوالم الوهمية، التي صورها لنا فلاسفة ومفكرون وبنوا لنا مدائن من الأحلام وشيدوا لنا ممالك من الأساطير والأوهام ،فأسلمنا لهم عقولنا وسلمنا لضلالاتهم وانحرافاتهم، فآل بنا الحال إلى ما هو عليه الآن :

ما أحوج المسلمين في كل زمان ومكان إلى من يحول المحن إلى منح ، ويبدد الظلام بنور الإسلام ويبصر المسلمين بحقائق دينهم، قال إقبال:

فأين جحافل الأبطال منا يضئ مسيرها للسالكين
وتغبطها شعوب أرهقتها بالاستبداد أيدي الظالمين .

وعجيب أمر ذلك المسلم الذي يصنع من الإيمان معجزات ويزلزل بيقينه الجبال الراسيات وتخضع لعزته الصم الشامخات . وما أصدق قول محمد إقبال وهو يصور هذه المعاني في هذه الأبيات 0

لو سرت شعلة الهدى في الصدور وتمشى وميضها في الضمير0
لأقام الأحرار للهول يوما يتحدى أهوال يوم النشور .

وما احسن قولة

لو يمس التوحيد فكرا نقيا   وضميرا حيا وقلبا أبيا
لأحال الخمول والضعف إيمانا   وعزما يغزو نجوم الثريا .

ويمكننا القول بأن الشيخ سعيد كان أحد هؤلاء المصلحين الذين شهد لهم التاريخ بذلك
إن الشيخ سعيد لم ينشغل عن محن المسلمين وهمومهم بحياته ، ولكن كرس حياته لذلك ، وتعرض للمحن والأخطار في سبيل هدفه وغايته 0
فذاق الأمرين وتجرع الغصتين ، محنة الأمة الإسلامية والمحن التي تعرض لها في حياته 0
وإذا كان في مؤلفات الشيخ عموما وتفسيره خصوصا مجال رحب وساحة مسهبة ، لبسط قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته ووضع الحلول والأدوية التي قررها الإسلام ، وإذا كان لهذا الجو المشحون ولتلك الآفاق المترامية والتي تنعكس على صفحتها حالة العالم الإسلامي ، إذا كان لهذا وتلك أثر بالغ في صياغة هذا التفسير فثمة عامل مساعد وعنصر مباشر ساهم في وجود هذا العمل الكبير ألا وهو محنة الشيخ بالسجن في أعقاب أحداث الدستور . [123]
يقول الشيخ سعيد عن هذه المحن وأثرها الخاص بالنسبة للتفسير:
[من المعلوم أن السجن الانفرادي من أشق أنواع السجون ولكن الله خففه على بالصلاة وتلاوة القرآن ، أذنوا لي بعد فترة من التحقيق أن آخذ مصحفي ، وقد أعطاني هذا فرصة أن أعيد حفظي للقرآن بعد أن كدت أنسى الكثير منه بسبب ظروف العمل، وكانت هذه أكبر نعمة من نعم الله على في السجن ، وأتيحت لي الفرصة للتأمل الواسع في القرآن فتيقنت من نظريتي في الوحدة القرآنية التي بنيت عليها تفسيري فيما بعد] . [124]
لقد كانت هذه المحنة فرصة للانقطاع عن الخلق والاتصال بالحق و الانطلاق في الآفاق الرحيبة و التجول و التنقل بين أرجاء الكون المقروء حين يحرم الشيخ من معاينة الكون المنظور،

123- ديوان محمد إقبال - مختارات من شعره ص 3 ، 28 ، 107
124 - هذه تجربتي ص119

وبين تلك الأجواء المشحونة والآفاق الواسعة والأعماق الضيقة كان هذا التفسير0
ومما سبق يتضح لنا:- مدى تعايش الشيخ مع القرآن الكريم ، ومدى اجتهاده في تحصيل العلوم التي تعينه على فهمة ، وكيف تأهل الشيخ لخوض عالم التفسير ،واهم العوامل المساعدة والظروف التي أحاطت بالشيخ سعيد وكان لها أثر بالغ في وجود هذا التفسير ، وفي صياغته على هذا النحو الذي هو عليه0

- **طريقته في التفسير**

أولا- النظرة الكلية للسورة القرآنية
ثانيا- تقسيم السورة ومعالم هذا التقسيم
ثالثا- طريقته التفصيلية في تفسير السورة

أولا : النظرة الشاملة للسورة0
يبدأ الشيخ سعيد بقراءة السورة قراءة متأنية فيتأمل موضوعاتها ، ويتحقق من أهدافها ، ومن خلال هذه القراءة يقوم بتقسيم السورة كما يقف على وجه مناسبتها لما قبلها ، واتصالها بمحورها من سورة البقرة 0

ثانيا: تقسيم السورة0
من خلال قراءته ونظرته العامة للسورة يقوم بتقسيمها إلى مقدمة وتقسيمات ثم خاتمة ، ويستعمل في تقسيمه للسورة هذه المصطلحات قسم، مقطع، فقرة، مجموعة فكلمة قسم أوسع مما بعدها ولا يستعملها إلا في السور الطويلة حيث يكون عندنا عدة مقاطع يجمعها جامع ، وكلمة مقطع أوسع من كلمة فقرة ، ويستعملها حيث تكون الآيات ذات الموضوع الواحد كثيرة ، وكلمة فقرة أوسع من كلمة مجموعة ونستعملها عندما يكون عندنا مقطع ذو موضوع واحد ولكنه يتألف من مجموعة معان رئيسية فيستعمل لكل معنى رئيسي في المقطع كلمة فقرة ، وكلمة مجموعة أضيق من كلمة فقرة ونستعملها إذا كان في الفقرة داخل المقطع اكثر من معنى يحسن شرحه منفصلا عما قبله وعما بعده .
وإذا كانت السورة طويلة فقد يرد لفظ القسم والمقطع والفقرة والمجموعة ولكن إذا لم تكن كذلك فقد يرد في تقسيماتها لفظ

المقطع والفقرة والمجموعة أو لفظ الفقرة والمجموعة أو لفظ الفقرة فقط .....]. [125]

***0نماذج لطريقة الشيخ في تقسيم السورة0**

1- سورة الأعراف : تتألف سورة الأعراف من ثلاثة أقسام
ا- القسم الأول: ويتألف من مقدمة السورة ومقطع واحد
ب- القسم الثاني: ويتألف من أربعة مقاطع0
ج- القسم الثالث: ويتألف من مقطعين
والملاحظة أن المقاطع تنقسم إلى فقرات والفقرات إلى مجموعات0(1) [126]

2- سورة القصص : وتتكون من قسمين:
القسم الأول ويتألف من مقدمة وخمسة مشاهد
القسم الثاني ويتكون من خمس مجموعات . [127]

3- سورة الأحزاب ونلاحظ أن الشيخ سعيد قد قسم هذه السورة إلى عشر مقاطع، إضافة إلى تقديمه للسورة وكلمته الأخيرة في السورة ومحورها ومجموعتها

هذا ما بتعلق بالتقسيم الإجمالي للسورة أو بمعنى آخر الهيكل التنظيمي لها0 أما الخطوات التفصيلية للسورة فهو ما سنتحدث عنه في السطور القادمة

ثانيا : طريقة المفسر التفصيلية في تفسير السورة

أولا: تقديمه للسورة :

يبدأ المفسر بكلمة عن السورة، يعرف فيها بالسورة ، مع بيان صلتها بمحورها من سورة البقرة [وفق نظرية المفسر في الوحدة الموضوعية] وصلتها بقسمها الذي تقع فيه مجموعتها التي تضمها 0

ثانيا: تقسيمه للسورة :

بعد أن يقوم المفسر بتقديمه للسورة ينتقل إلى تقسيمها0 ويعتمد هذا التقسيم على أمرين : المعاني والمعالم ففي تقسيمه لسورة الأنعام يقول تحت عنوان (كلمة في أقسام السورة ومقاطعها) : تتآلف سورة الأنعام من قسمين .
القسم الأول ويمتد من أول السورة {**الحمد الله الذي خلق السماوات والأرض** 000} - إلى نهاية قولة تعالى {**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين**

125- الأساس- المجلد الأول ص31
126- نفس المرجع- المجلد الرابع ص1841
127- المرجع نفسه- المجلد السابع تفسير سورة القصص ص4055 : 4125

زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون } ([128])

لاحظ أن الآية الأولى في القسم الأول تتحدث عن الشرك وأن الآية الأخيرة تتحدث عن حال الشرك وأهله يوم القيامة 0
أما القسم الثاني في السورة فيمتد من الآية (95إلى الآية 165) ويبدأ بقوله تعالى **إن الله فالق الحب والنوى** 000 وينتهي بنهاية السورة : قوله تعالى **وهو الذي جعلكم خلائق الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** 000 الاية0
والصلة واضحة بين ما خلق الله للإنسان وبين كون الإنسان خليفة الله في الأرض ، ومن تأمل مقدمتي القسمين ومضمونهما اتضح له بما لا يقبل الجدل صلة ذلك بمحور السورة {**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إلية ترجعون ، هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا**}([129])
وعلى هذا الأساس يقوم بتقسيم الأقسام إلى مقاطع:-
يقول في تفسير سورة الأنعام بعد أن تحدث عن أقسامها
ويتألف القسم الأول من سورة الأنعام من ثلاثة مقاطع كما سنرى، ويتألف القسم الثاني من مقطعين0([130]) ثم يوضح اعتبارات هذا التفسير فيقول تحت عنوان [كلمة في بعض العلامات التي تدلنا على المقاطع]
من الملاحظ أن الآية الأولى في سورة الأنعام مبدوءة ب(الحمد الله) ثم تأتى الآية الثانية مبدوءة بقول تعالى (هو)ثم تتكرر كلمة (وهو) في السورة كثيرا كما رأينا ،فكأنها معطوفة على (هو) الأول في السورة، وان من العلامات التي تدلنا على بدايات ونهايات بعض المقاطع في السورة أن نرى (وهو) فقد اعتدنا في السياق القرآني أن نرى مقطعا تشبه بدايته نهايته ،ولذلك نرى أن آخر مقطع في السورة بدايته
(وهو الذي أنشأ جنات معروشات) فأول آية فيه مبدوءة بقوله تعالى (وهو) وآخر آية فيه مبدوءة بقوله تعالى (وهو) (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض). ثم يضيف الشيخ سعيد إلى معالم هذه الطريقة فيقول : وقد نرى مقاطع مبدوءة وليست مختومة به ، ولقد جرينا أن نعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعد

---

[128]- سورة الأنعام الآيات من 1: 93
[129]- الآيتان 28،29 من سورة البقرة - و يراجع الأساس - المجلد الثالث ص 1566، 1567
[130]- الأساس المجلد الثامن ص 4802 ، 4803 .

المعنى في تحديد بداية المقطع ونهايته ، ولكن الشيء الأكثر تحديدا والذي يجعلنا نحدد به المقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعنى وسنرى ذلك واضحا في السورة .[131]
وعلى هذا الأساس سار ، ومن يتتبع الكتاب يجد الأمثلة الكثيرة الدالة على ذلك ،
من ذلك على سبيل المثال ما صنعه في سورة (ص)حيث قسمها إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة منها تبدأ بقوله تعالى قل :
المجموعة الأولى تبدأ بقوله تعالى **(قل إنما أنا منذر)** أية 65 ، من السورة
والمجموعة الثانية تبدأ بقوله تعالى **(قل هو نبأ عظيم)** أية 67 ، من السورة
والمجموعة الثالثة تبدأ بقوله تعالى **(قل ما أسألكم عليه من أجر ...)** آية 86 إلى آخر السورة .
ويعلق على هذا التقسيم بقوله : نلاحظ أن كلمة (قل) تكررت في المقطع ثلاث مرات، ومن ثم فالمقطع يتألف من ثلاث مجموعات ، كل مجموعة تؤدى دورها في عملية الإنذار وإقامة الحجة ضمن سياق السورة وبما يخدم محورها .

ثالثا: الخطوات التفصيلية التي تعقب التقديم والتقسيم :

يشرع المفسر بعد ذلك في التدرج في الخطوات التفصيلية للتفسير
1- فيبدأ أول بالمعنى العام للآيات ، وغالبا ما يجمع بين المعنى وسياق السورة ففي سورة البقرة وتحت عنوان (كلمة إجمالية في هذا المقطع وسياقه)
يقول : [بعد أن عدد الله في مقدمة السورة فرق المكلفين ، من المؤمنين والكافرين والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة أقبل عليهم بالخطاب داعيا إياهم إلى عبادته وتوحيده ودلهم على طريق الكون من المتقين مقيما عليهم الحجة ، على أن كتابه لا ريب فيه ، مبشرا المستجيبين له بما أعده لهم مبينا الأسباب الحقيقية لضلال الضالين من كافرين ومنافقين ومناقشا الكافرين مقيما عليهم الحجة ، فإذا كانت مقدمة البقرة قد قررت بعض المعاني تقريرا فهذا المقطع كان دعوة وإقامة حجة] .[132]

---

131 - الأساس المجلد الثالث ص 1566 ، 1567 ويراجع تقسيمه لسورة الزمر : حيث قسمها إلى مقطعين كل مقطع مبدوء بكلم (إنا أنزلنا) المجلد التاسع ص 4 843
132 - المرجع السابق المجلد الأول ص 94

وفي نفس السورة في تفسير المقطع الرابع من القسم الأول من السورة وتحت عنوان كلمة في هذا المقطع وسياقه : يقدم المعنى العام ضمن الحديث عن السياق . [133]

- وعلى هذا المنوال يمضى الشيخ في تفسيره سورة البقرة وما بعدها إلى أن ينتهي إلى سورة يونس فيعدل هذه الطريقة .....

وفي ذلك يقول تحت عنوان [ملاحظة حول طريقتنا في تفسير ما سيأتي من القرآن]

(فيما مر معنا من التفسير حرصنا أن نأتي بالمعاني العامة للآيات المفسرة ثم نتبعها بالتفسير الحرفي وكان يضطرنا ذلك إلى التكرار ، وقد ألجأنا إلى ذلك حرصنا على عرض معاني ما نفسره متسلسلا ، لتأكيد وحدة المقطع ، أو القسم ، والمجموعة ، ونعتقد أن ما مر كان كافيا لتأكيد ما أردناه ، ولذلك ورغبة في الاختصار فإننا لن نسير بعد الآن على مبدأ ذكر المعنى العام ثم المعنى الحرفي ، بل سنكتفي بذكر المعنى الحرفي . [134]

* والملاحظ أنه بعد ذلك أفاض بعض الشيء في ذكر المعنى الحرفي ، أما كلمة السياق فقد أفردها بالحديث .

2 - المعنى الحرفي أو التفسير الحرفي للآيات : وفي هذه المرحلة يتناول الآيات ويشرحها شرحا مستوفيا ، وكما وضحنا أن المعنى الحرفي كان مستقلا عن المعنى العام من بداية التفسير وحتى سورة يونس ، ثم اتصل بالمعنى الحرفي بعد ذلك ، ويعتمد المفسر في المعنى الحرفي غالبا على تفسير النسفي ، وسوف يتبين لنا سر ذلك عند الحديث عن مصادر التفسير ، وقد ينقل المفسر في المعنى الحرفي عن ابن كثير وقد يعتمد على ثقافته واطلاعه من غير هذين المصدرين

3 - يورد المؤلف دائما فوائد يستجمع فيها نصوصا وآثارا أو نقلا هاما أو تحقيقا في مسألة اعتقاديه أو فقهية .

وهذه أمثلة لذلك .

أ - في سورة البقرة بعد أن يورد المعنى العام والحرفي لآيات الصيام يقدم بعض الفوائد حول الآيات وهذه سردها 1 - أحاديث وآثار حول الصوم

2 - فائدة حول قوله تعالى (هن لباس لكم) [135]

3 - حكم الوصال في الصوم

133- نفس المرجع المجلد الأول ص 263

134- " " المجلد الخامس ص 2421

135- البقرة : 187

4 - فصل في الصوم عند الأمم
[136]

ب - وتحت عنوان فصول شتى في سياق تفسيره لسورة البقرة، الفقرة الأولى من المقطع الأول من القسم الثالث من سورة البقرة .

بعقب تفسير كل آية بفوائد حولها ، ويذكر سبب نزولها [إن وجد] ثم يعقد كلمة في السياق ويعقبها بفصول شتى :-

فصل في أن الإسلام هو السلام

فصل في الحذر من الدراسات الموجهة في شأن الأديان . [137]

ويلاحظ من قراءة هذه الفصول والنقول والفوائد ، القيمة العلمية لها ، وما تضيفه على التفسير من ثراء فكرى في نواحي مختلفة ، عقديه وفقهية ، وغير ذلك ، إلى جانب ما يضمنه المفسر ويلحقه لهذه الفوائد ، من مأثورات ، يخدم التفسير ، بأن يوضح معنى أو يذكر بسبب نزول آية أو غير ذلك .

4 - وفي ختام هذه التقسيمات [الأقسام والمقاطع والفقرات والمجموعات] يقدم المفسر كلمة في السياق ، يستجمع فيها ما تضمنته الآيات من معان ويتحدث عن أوجه الصلة بين هذه التقسيمات ، كما أنه بفعل هذا الأمر في ختام السور حيث يقدم كلمة أخيرة في كل سورة يتحدث فيها عن صلة السورة بمحورها وبمجموعتها إلى جانب تذكيره بما تضمنته السورة . [138]

* ومن الملاحظات الهامة التي نبهنا الشيخ سعيد إليها وسوف نتحدث عنها أثناء الكلام عن الوحدة الموضوعية في التفسير هي استعمال الشيخ لكلمة (زمرة ويعنى بها مجموعة السور التي تضمنها خاصية معينة ولكنها تنتسب إلى اكثر من مجموعة داخل القسم فيستعمل المفسر لها تعبير الزمرة أي الطائفة والمجموعة التي تجمعها خاصية معينة

وذلك كزمرة الحواميم التي قدم لها في مقدمة سورة غافر تحت عنوان [كلمة في زمرة آل حم] [139] ثم ختم الحديث عنها في سورة الأحقاف تحت عنوان [كلمة أخيرة في سورة الأحقاف وزمرة آل حم] ، تحدث فيها عن مضمون هذه السور وعن

---

[136] - المرجع نفسه المجلد الأول ص 421 : 433 .

[137] - الأساس المجلد الأول ص 486 : 512

[138] - يراجع على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره تحت عنوان [كلمة أخيرة في سورة العنكبوت حيث تحدث عن مضمون السورة وصلتها بمحورها المجلد الثامن ص 4239 وما ذكره في سورة الروم أيضا تحت عنوان [كلمة أخيرة في سورة الروم] المجلد الثامن ص 4299 .

[139] - الأساس المجلد التاسع ص 4925

أوجه التناسب بينها ، (140) وفي ختام حديثنا في هذا الفصل : نقدم عناصر الخطة التي اعتمد عليها الشيخ سعيد في تفسير السورة القرآنية بعد تقسيمها .وهى كما يلي :-

1 - [مقدمة السورة]

2 - [المعنى العام]

3 - [المعنى الحرفي] [وقد يوردها معا كما وضحنا]

4 - [الفوائد] التي يوردها في نهاية السور أو في نهاية التقسيمات .

5 - [الحديث عن السياق] - سياق القسم أو المجموع أو المقطع أو الفقرة أو سياق السورة .

6 - [خاتمة السورة]

ومن المفيد هنا أن نذكر ما قاله الشيخ في خاتمة التفسير عن طريقته في التفسير والحكمة في التزامها ،[ومن خلال استقرائي لأصناف كثير من الراغبين في دراسة القرآن وجدت أن هناك ناسا تهمهم الفائدة الشاردة والنكتة اللطيفة وآخرون تهمهم دقائق السياق والربط بين الآيات والسور وآخرون لا يهمهم إلى معرفة المعنى الحرفي ضمن أدنى حد ممكن ولذلك فصلت الكلام بين المعنى الحرفي والسياق والفوائد فالراغب في الجميع لم يفته شئ والراغب في شئ بعينه بجده منفصلا عن غيره] . (141)

140- نفس المرجع المجلد التاسع ص 2588
ويراجع أيضا حديثه عن زمرة [ألم . العنكبوت والروم ولقمان والسجدة ولقد تحدث عنها في سورة العنكبوت / المجلد الثامن ص 4240 ، وفي نهاية هذه الزمرة في سورة السجدة تحت عنوان [كلمة أخيرة في سورة السجدة وزمرتها / المجلد الثامن ص 4375

141- نفس المرجع المجلد الحادي عشر ص 6773

المبحث الأول : أهمية البحث في الوحدة القرآنية وأقسامها
المبحث الثاني : وحدة الموضوع
المبحث الثالث : الوحدة الموضوعية للسورة
المبحث الرابع : نظرية الشيخ سعيد في الوحدة الموضوعية

ويشتمل على

أولا : بين يدي هذه النظريـــة
ثانيا : القواعد العامة للنظريـــــة
ثالـثا : ملاحظات على هذه النظرية
رابعا : تساؤلات والإجابة عليهــا
خامسا : من مميزات هذه النظرية
سادسا : خلاصة هذا البحث

المبحث الأول : أهمية البحث في الوحدة القرآنية وأقسامها :

أولا: أهمية دراسة الوحدة

من أهم الأهداف التي سعى صاحب الأساس إلى تحقيقها .

- ولقد تحدث عن ذلك في مقدمة الأساس في المنهج ومقدمة الأساس في التفسير ، يقول في مقدمة الأساس في المنهج : [دندن علماؤنا حول الصلة بين آيات السورة الواحدة وحول الصلة بين سور القرآن ، وحول السياق القرآني ؛ وجاءت نصوص تتحدث عن أقسام القرآن : قسم الطوال ,وقسم المئين ,وقسم المثاني ,وقسم المفصل ,ولم يستوعب أحد من المؤلفين الحديث عن هذه القضايا - في علمي - بما يغطيها تغطية مستوعبة ، وفي عصرنا - الذي كثر فيه السؤال عن كل شئ - أخذ كثير من الناس يتساءلون عن الصلة بين آيات القرآن الكريم وسوره .... فأصبح الكلام في هذا الموضوع من فروض العصر الذي نحن فيه ، ولقد منّ الله عليّ في أن أسد هذه الثغرة ، مصححا الكثير من الغلط في هذا الشأن ، ومضيفا أشياء كثيرة لم يسبق أن طرقها أحد0] [142]

- ويوضح الشيخ سعيد أن من أهم خصائص هذا التفسير : اشتماله على نظرية في الوحدة الموضوعية استوعبت القرآن كله ، فيقول : [إن الخاصية الأولى لهذا التفسير وقد تكون ميزته الرئيسية أنه قدم لأول مرة - فيما أعلم - نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية ، وهو موضوع حاوله كثيرون وألفوا فيه ، ولكن أكثر ما شغلهم فيه هو الحديث عن مناسبة الآية في السورة الواحدة أو مناسبة آخر السورة السابقة لبداية السورة اللاحقة ولم يزيدوا على ذلك - فيما أعلم -0] [143]

ويرجع اهتمام الشيخ سعيد في تفسيره بعرض نظرية الوحدة الموضوعية إلى عدة أمور، هي :-

1- تغطية جانب هام من جوانب الإعجاز القرآني ،

142- الأساس في التفسير المجلد الأول ص 9

143- الأساس في التفسير المجلد الأول ص 21 - وهناك مناسبات أخرى أثبتها العلماء ، سوف نوضحها من خلال هذا الفصل إن شاء الله .

2- الرد على شبهات المستشرقين وأعداء الإسلام الذين أنكروا الوحدة الموضوعية
ودعوا إلى إعادة ترتيب القرآن وفق نزوله 0
3- الاستعانة على فهم القرآن بتلك النظرة الكلية الشاملة التي تعين على فهم المعنى
من خلال معرفة سياق الآيات ومقاصد السور وأهدافها وصلتها بالسياق القرآني 0 وسوف نتناول هذه الأمور الثلاثة بالبحث والدراسة فيما يلي:-

*** أولا : تغطية جانب هام من جوانب الإعجاز القرآني :-**

- فلقد اتجهت أنظار العلماء والباحثين إلى النظر في أوجه إعجاز القرآن الكريم من
جهة اللفظ ومن جهة المعنى ، ولكنهم لم يعطوا الوحدة الموضوعية كثير اهتمام وفي ذلك يقول الإمام الرازي في تفسيره لسورة البقرة ((ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته 0 ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب نظم أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل : -

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في صغر)) [144]

ويقول الشيخ سعيد في مقدمة الأساس في التفسير [هذه التغطية لهذا الموضوع كما أنها تلبى مطلبا هاما من مطالب عصرنا ،فإنها تروى ظمأ طلاب العلم والمعرفة والباحثين عن دقائق أسرار هذا القرآن ،كما أنها تضع لبنة في صرح الحديث عن إعجاز القرآن ومعجزاته 000] [145]
وفي أثناء تفسيره لسورة الحج وبعد استعراضه لمعجزة من معجزات السياق القرآني ، يعقب الشيخ سعيد على ذلك بقوله : [إن منزل هذا القرآن المحيط بكل شيء جعل في كتابه من أسرار الإعجاز ،ومن تشابك الصلات بين سوره وآياته ما به يعرف أن هذا لا يمكن أن يكون

144- مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج 7 ص 138 ط المطبعة البهية بالقاهرة 1375 هـ ،1938
145- الأساس في التفسير المجلد الأول ص 25

إلا إذا كان منزل هذا القرآن هو الله رب العالمين ،الذي أحاط بكل شئ علما] [146]
ويطيب لنا في هذا المقام : أن ننقل عبارة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم والتي يوضح فيها أن الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم هي معجزة من أهم المعجزات 00يقول : [لعمري لئن كان للقران في بلاغة تعبيره معجزات ،وفي أساليب ترتيبه معجزات ، وفي نبوءته الصادقة معجزات ،وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات] [147] .

ثانيا : رد شبهات المستشرقين وأعداء الدين حول الوحدة القرآنية وترتيب القرآن :

وفي ذلك يقول الشيخ سعيد حوى : [ولقد سئلت اكثر من مرة من بعض من عرضت عليه وجهة نظري في فهمي للصلة بين الآيات والسور عن فائدة هذا الموضوع ،وكنت أجيبه بمثل ما ذكرته فيما مضى من هذه المقدمة ،في أن الإجابة على هذا الموضوع تخدم رد شبهة أن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع ولا يجمع بين سوره رابط ، وذلك لا يليق بكلام البشر فكيف بكلام رب العالمين ، إنها لشبهة فظيعة جدا أن يحاول محاول إشعار المسلم بأن كتاب الله ينزل عن كتب البشر في هذا الشأن ، ولقد استطعت بتوفيق الله أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الوحدة ، وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته على طريقه لم يعرف لها العالم مثيلا ، ولا يمكن ن تخطر على قلب بشر ، لقد استطعت بهذا أن أرد السهم إلى كبد راميه من أعداء الله في هذه النقطة بالذات .] [148] .

أقـــــول وهذه حكمة من حكم المولى عز وجل العليم الخبير : أن يفيض من أعداء الدين من يخدمونه من حيث لا يشعرون ، فإن إثارة أعداء الإسلام لهذه الشبهة الباطلة

146- الأساس المجلد السابع ص 3602
147- النبأ العظيم لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ص 209 ط مطبعة السعادة 1389 هـ ، 1969 م.

148- الأساس المجلد الأول ص 27

، دفع الكثير من الغيورين إلى الرد عليها والذود عن حياض القرآن الكريم عن طريق إبراز موضوع الوحدة القرآنية .

وصدق الشاعر في قوله :-

وإذا أراد الله نشر فضيـلة ..... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت .... ما كان يعرف طيب عرف العود (149)

- لقد طعن كثير من المستشرقين وأعداء الإسلام في الوحدة الموضوعية للقرآن ، وزعموا أن آيات القرآن لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق ، وأوصلوا بإعادة ترتيب القرآن وفق أسباب نزوله تيسيرا للقارئ وإعانة له على فهم القرآن - على حسب زعمهم - يقول المستشرق الفرنسي (بلاشير) (150) في كتابه [القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، وتأثيره] :[إن إعادة ترتيب السورة الذي اقترحه (نولدكه) (151) ينال هنا كامل الأهمية أنه يلقى على المصحف أضواء مطمئنة ويرد وضع النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك لكونها مقرونة إلى السياق التاريخي المعقول [يعنى وفق نزولها] .

ويقول في نفس الموضوع [ويتوصل القارئ الغربي إذ ذاك بمنطق لا تكلف فيه إلى الاقتناع بأن الحياة قد أعيدت للمصحف فما عاد يظهر على شكل متتابع مصطنع وغير منتظم للنصوص بل على شكل سلسلة من الموضوعات ، عالجها محمد خلال عشرين سنة وفقا لمقتضيات دعوته .

149- ديوان : أبو تمام ، والأبيات من بحر الكامل ، يراجع [شرح ديوان أبى تمام للأستاذ شاهين عطية ص 85 ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2- 1412 هـ 1992 م

150- مستشرق فرنسي : ولد بالقرب من باريس وتعلم في المغرب والجزائر وعمل بالتدريس في المغرب وفي فرنسا ومن أشهر كتبه (تاريخ الأدب العربي) ، (ودراسة حول القرآن) وله مقالات عديدة في أشهر مجلات الاستشراق - تراجع ترجمته في مجلة الوعي الإسلامي ع288 - ذو الحجة 1408 هـ -ص 15

ويراجع (المستشرقون للأستاذ نجيب العقيقي ج1 ص 309 : 312 ط دار المعارف .

151- مستشرق : ألماني ولد في هامبورج 1836 م وتوفي 1930 ودرس اللغة العربية وآدابها وتاريخها وحصل على الدكتوراه في علوم القرآن وكان عنوان رسالته (أصل وتركيب سور القرآن) وقد أعاد النظر فيها وفي توثيق مراجعها ونشرها بعنوان (تاريخ النص القرآني) وله مؤلفات أخرى في اللغة العربية وفي اللغات السامية تراجع ترجمته كاملة في المستشرقون للأستاذ نجيب العقيقي ج2 ص 379 : 383

ثم يقول في الموضوع نفسه: [والمهم منذ تلك اللحظة أن يقبل قارئ القرآن بالانقياد وتد ل التجربة فيما يبدو أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه نولدكه واخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة [0 (152)

وما ذهب إليه (بلاشير ، ونولدكه) ذهب إليه المستشرق اليهودي المجرى (جولدتسيهر) (153) في كتابيه (مذاهب التفسير الإسلامي)،(الإسلام عقيدة وشريعة)

يقول في الكتاب الأول : [إن القرآن - في جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة) 0 (154)

يقصد بهذه العبارة أن الوحدة الموضوعية في القرآن مفقودة ، ولا وجود لها إلا في مواضع قليلة من القرآن . وهو يستشهد على صحة زعمه بكلام الشيعة الذين زعموا أن الترتيب الحالي لا اصل له ؛ ويرجع ذلك إلى سوء نيته وخبث طويته وقله تدبره وقصر نظره ، وفكرته المسبقة التي يسعى إلى تحقيقها .ولقد قام الأستاذ الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم بالرد على مزاعم الشيعة وشبهات المستشرقين في هذا المقام من خلال رسالته للدكتوراه 0 (155)

152- يراجع كتاب [القرآن : نزوله ،وتدوينه وترجمته وتأثيره للمستشرق الفرنسي بلاشير- ترجمة رضا سعادة الفصل الأول ص 23 :44 وهو بعنوان المصحف بنيته وتكوينه ط دار الكتاب اللبناني /بيروت ط 1 1974 م

153- مستشرق يهودي مجرى عرف بكتاباته الخبيثة والضالة عن الإسلام ومن مؤلفاته مذاهب التفسير الإسلامي ، والإسلام عقيدة وشريعة وكان أستاذ في جامعة المجر عاش ما بين(1850 حتى 1921) نقلا عن اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر د0 محمد إبراهيم شريف ص 76 ط دار التراث القاهرة

154- مذاهب التفسير الإسلامي ص 5 ترجمة د0 عبد الحليم النجار ط مطبعة السنة المحمدية 1374 هـ ، 1955 م ويراجع الإسلام عقيدة وشريعة هامش 305 : 307 لجولدتسيهر ترجمة د0 محمد يوسف موسى ط دار الكتاب العربي ط 2

155- يراجع [الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره] للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم -المبحث الثالث من المقدمة: (ترتيب المصحف الشريف ليس على ترتيب النزول وبحث رواية جمع الإمام للقرآن على حسب النزول وفي ذلك يقول القاسم والأخبار الواردة عن على كرم الله وجهه في هذا الباب لا يخرج معظم روايتها عن الوضع والضعف ،وأورد آثارا عن على رضي الله عنه في استحسان ما ذهب إليه أبو بكر رضى الله عنه في جمعه للقرآن واستحسانه أيضا ما قام به عثمان من جمع الناس على مصحف واحد [الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره] 30:24: ط دار المطبوعات الدولية ط 1 1399هـ 1979 م

كما قام الأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه مع المفسرين والكتاب بالرد على جوستاف لويون صاحب كتاب حضارة العرب على زعمه بعدم ترتيب القرآن . (156)
وتناول هذا الموضوع الشيخ عبدا لمتعال الجبري في كتابه (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين) (157)
ولقد استدل بعض من أنكر الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم على صحة زعمهم بان القرآن نزل منجما في نيف وعشرين سنة في حكم متعددة وأحكام متنوعة ،فكيف يتم ربطها وكيف يتفق وصلها وقد تنوعت آيات القرآن في نزولها زمانا ومكانا وسببا
ويسوق الشيخ سعيد في الرد على هذا الادعاء أن هذا الكلام حجة على قائله وليس حجة له - من كلام الشيخ عبد العظيم الزرقاني ومن استشهاده في هذا الموضوع ما يلي : [000 وقال الشيخ ولى الدين الملوي (وقد وهم من قال لا يطلب للآي الكريم مناسبة لأنه على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب : أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا ،فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما انزل جملة إلى بيت العزة ،ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شئ عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له " ..] أ . هـ ويقول الزرقاني :[وهنا نتسائل : كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز ؟ وكيف استقام هذا التناسق المدهش على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة ، بل تنزل آحادا مفرقة تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عاما ؟ ويجيب الشيخ عبد العظيم الزرقاني على نفسه فيقول : الجواب أننا نلمح هنا سرا من أسرار الإعجاز

كما قام في الباب الرابع في الرسالة بالرد على شبه الشيعة والمستشرقين بعد عرضها بأدلة نقلية وعقلية وتاريخية (الباب الرابع ص 407 : 526) من الكتاب

156- يراجع كتاب مع المفسرين والكتاب للأستاذ أحمد محمد جمال ص 43 ط دار الكتاب العربي بمصر

157- يراجع كتاب السيرة النبوية وأوهام المستشرقين للأستاذ عبدا لمتعال الجبري وفيه يرد على المحاولات الخاطئة التي قام بها بعض المستشرقين حيث ترجموا القرآن الكريم ورتبوا السور القرآنية وفق ترتيب نزولها ولقد ذكر بعض من قاموا بهذه المحاولات ورد عليهم (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين للأستاذ عبدا لمتعال الجبري ص 27 :28 ط مكتبة وهبة) .

ونقرأ دليلا ساطعا على مصدر القرآن وانه كلام الواحد الديان { **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** } [158] وإلا فحدثني بربك كيف تستطيع أنت أم كيف يستطيع الخلق جميعا أن يأتوا بكتاب محكم الاتصال والترابط ، متين النسج والسرد ، متآلف البدايات والنهايات ، مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن طوق البشر وهى وقائع الزمان وأحداثه .... لا ريب أن هذا الانفصال الزمني وذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعي يستلزمان في مجرى العادة التفكك والانحلال ، ولا يدعان مجالا للارتباط والاتصال بين نجوم هذا الكلام ، أما القرآن فقد خرق العادة في هذه الناحية أيضا : نزل مفرقا منجما ، ولكنه تم مترابطا محكما ، وتفرقت نجومه تفرق الأسباب ، ولكنه اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب ، ولم يتكامل نزوله إلا بعد أكثر من عشرين عاما ولكن تكامل انسجامه بداية ونهاية ....] [159]

ولقد انتقد الشيخ سعيد المحاولة التي قام بها أحد الباحثين حيث حاول جمع وتفسير القرآن وفق نزوله يقول في هذا الصدد:[..... ومن هذا المعنى والمعاني الأخرى التي ذكرناها حول ترتيب القرآن نجد أن هذا الترتيب للقرآن فيه من أنواع الإعجاز ما لا يحيط به البشر ، وما اكثر خطأً - وغفر الله له - من حاول أن يفسر القرآن على غير ترتيبه الحالي كان فسره على حسب ترتيب نزوله - في زعمه ، وهو موضوع لا توجد أدواته أصلا ولا أدلته بشكل يستقصي القرآن كله ، وذلك من فعل الله لهذا القرآن ؛ حتى لا تفكر الأمة إلا بهذا الترتيب الخاص لما يحويه ولما يترتب عليه من مصالح0] [160]

ثالثا : النظرة الشاملة الكلية تعين على فهم كتاب الله:

وفي هذا الأمر يقول الشيخ سعيد : [على أن الإجابة على

158- النساء : 82

159- نقلا عن (الأساس في التفسير) المجلد الأول ص 25 ، 26 ويراجع : مناهل الفرقان للأستاذ عبد العظيم الزرقاني ج1 ص 53 وما بعدها ويراجع ج2 ص 236 ط الحلبي

160- الأساس المجلد العاشر ص 5726 ، وذلك التفسير المشار إليه هو [التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة] ولقد لجأ فيه صاحبه إلى تفسير القرآن وفق ترتيب نزوله متفردا بهذه الطريقة عن المفسرين - يراجع التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة ط دار أحياء الكتاب وتراجع اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا للدكتور فضل حسن أحمد عباس ج2 ص 559 : 562 [رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة - قسم التفسير - محفوظ بمكتبة الكلية .

هذا الموضوع كما قلنا تخدم قضايا أخرى : منها قضية تأكيد إعجاز القرآن ، ومنها قضية دحض شبهة أن هناك افتراقا بين القرآن المكي والمدني ، ومنها أنها تخدم في معرفة بعض أسرار القرآن ، ومنها أنها تخدم قضية الفهم للكثير من المعاني التي يدل عليها السياق ، إن هذه النقطة التي هي في بعض جوانبها تميز هذا التفسير عن غيره لا تخدم فقط فيما ذكرناه ، بل تخدم في رؤية كثير من المعاني ، ومحل هذه المعاني في البرهان على كثير من القضايا ، كما أنها ترينا أن هذا القرآن من خلال سياق الآية في السورة ومن خلال سياق الآيات بالنسبة لمجموع القرآن ومن خلال صلات السور بعضها ببعض ، ومن خلال نواحي أخرى ، يعطينا معاني لا نهاية لها ولا يمكن الإحاطة بها ، وهو موضوع سنراه كثيرا في هذا التفسير 0] **(**[161]**)** وفضلا على هذه الأمور الثلاثة التي دفعت الشيخ سعيد إلى الاهتمام بإبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم ، فلقد خدمته نظرية الوحدة الموضوعية وأعانته على كشف بعض الحكم في كون بعض السور مفتتحة بالحروف المقطعة ،

يقول في ذلك: [وكأثر من آثار هذه النظرة الشاملة التي على ضوئها فهمت الوحدة القرآنية تكشفت لي إحدى الحكم في كون بعض السور مفتتحة ببعض الحروف فكانت ملاحظة جديدة تضاف إلى ملاحظات كثيرة ، سجلها علماء المسلمين خلال العصور حول أسرار هذه الأحرف] **(**[162]**)**

المبحث الثاني : أقسام الوحدة الموضوعية:

* يدور كلام المفسرين والباحثين في الوحدة القرآنية حول أمرين :

المطلب الأول : وحدة الموضـــوع

المطلب الثاني : الوحدة الموضوعية

*** وتنقسم الوحدة الموضوعية إلى قسمين**

1 - الوحدة الـمـوضوعـية في السـورة القرآنيـة

2 - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بوجه عام

161- المرجع السابق المجلد الأول ص 27 ، 28

162- المرجع السابق المجلد الأول ص 28 .

*وفيما يلي سوف نتحدث إن شاء الله عن كل نوع من الأنواع الثلاثة من خلال الأساس

المطلب الأول : وحدة الموضوع

والمقصود بها أن الموضوع الواحد في القرآن الكريم يرد في مواضع متفرقة ، وبصور متنوعة ، ولمناسبات متعددة ، ومع ذلك فلو جمعت آيات الموضوع الواحد لكونت بناء واحدا قويا محكما ، و لأصبحت نسيجا واحدا متناسقا بديعا ، ولقد كثرت الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم خاصة في هذا العصر0 (163) ، والشيخ سعيد لم يهتم في تفسيره بهذا المسلك من الدراسة ولم يكن هدفا له في تفسيره ، إذ أنه يسير وفق المنهج التحليلي الذي يعتمد على عرض الآيات وتفسيرها ، تفسيرا حرفيا ، وتفسيرا عاما مع تقديم الفوائد وتحرير النقول .

المبحث الثالث : الوحدة الموضوعية للسورة

وأما عن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية : فلقد اهتم الشيخ سعيد بإبرازها كلما مر بسورة من سور القرآن الكريم ولقد سلك في سبيل ذلك عدة خطوات نوضحها فيما يلي:

1 - النظرة الشاملة الكلية للسورة :

فالقارئ لتفسير الأساس والمتأمل في نظرية الوحدة الموضوعية للتفسير عموما يتأكد له أن نظرة الشيخ سعيد للسورة خصوصا وللقرآن عموما نظرة شاملة كلية ، فهو

---

[163]- ومن أهم الدراسات الموضوعية في هذا المجال تلك الرسالة التي حصل بها الأستاذ الدكتور محمد محمود حجازي على درجة العالمية الدكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة ، وهى بعنوان الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، وهى قسمان ، قسم نظري وقسم تطبيقي ، ويؤخذ على صاحب الرسالة رحمه الله أنه لم يتوسع في الجانب النظري رغم أهميته ، وحاجة القارئ إليه ، وهو المقصود في الرسالة ، وعلى كل فهي رسالة مفيدة ومحاولة جديدة لفهم الوحدة الموضوعية0
ومن ضمن الكتب التي سارت على هذا المنوال :المرأة في القرآن الكريم ، الإنسان في القرآن الكريم -للأستاذ عباس العقاد ، الصبر في القرآن الكريم للدكتور يوسف القرضاوي ، دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ، موقف سورة آل عمران من أهل الكتاب للأستاذ الدكتور على الشريف ، وله أيضا قصة آدم في القرآن الكريم، وغير ذلك .... ولمزيد بيان في ذلك يراجع : اتجاهات التجديد في التفسير د. محمد إبراهيم شريف ص 452 وما بعدها ، البداية في التفسير الموضوعي للدكتور عبد الحي الفرماوى ط الحضارة العربية ط 2 ، ويراجع التفسير الموضوعي للقرآن الكريم د. أحمد السيد الكومى ، د . محمد احمد يوسف القاسم ط1 1402 هـ القاهرة .

يتأمل في السورة ويتدبر في مقاصدها وأهدافها قبل أن يشرع في تفسيرها ، مما يمنحه فكرة شاملة للسورة تعينه على تقسيمها وتحديد ملامحها ومعالمها .

والشيخ سعيد ليس بدعا من المفسرين في التماسه لهذه الخطوة ، ولو تأملنا في كلام السابقين لوجدناهم دعوا إلى ذلك .

فالإمام السيوطى في كتاب الإتقان في علوم القرآن يشير إلى ذلك فيقول : [الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو انك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاجه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر في مراتب تلك المقدمات قربا وبعدا من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، وبهذا يتبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة 0] (164).

ويقول الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله : [إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضى بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه ، ... وعلى الباحث أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها ، وضبط مقاصدها ، على وجه يكون معوانا له على السير في تلك التفاصيل] . (165)

2 - تقديم كلمة في سياق السورة :-

وبعد النظرة الفاحصة والوقفة المتأنية التي يستكشف فيها الشيخ سعيد أجواء السورة وآفاقها ويتعرف على مقاصدها وموضوعها : يقدم كلمة في سياق السورة يذكر فيها ما استنتجه وتوصل إليه .

- يقول في ضمن ما ذكره عن سورة المائدة تحت عنوان [كلمة في سورة المائدة] ..[إن سورة المائدة تفصل فيما هو نقض للميثاق ، وفيما هو قطع لما أمر الله به أن يوصل ، وفيما هو إفساد في

164- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ج2 ص 128 بتصرف ط الحلبي - القاهرة

165- النبأ العظيم للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ص 153 ، 154 ط 1389 هـ ، 1969 م مطبعة السعادة .

الأرض ، فتدعونا لتركه وتطالبنا بما لو فعلناه لا تكون فاسقين ولا خاسرين ... فهي تكمل سورة النساء ، فإذا كانت سورة النساء قد فصلت فيما هو من التقوى ، فسورة المائدة تفصل فيما ليس من التقوى لتعمق عندنا قضية التقوى وتحققنا بها بتخليصنا من أضدادها ....] (166).

- وقد نقل من كلام صاحب الظلال في هذا المقام قوله: [ومن ثم نجد في هذه السورة كما وجدنا في السور الثلاث الطوال قبلها - موضوعات شتى ، الرابط بينها جميعا هو هذا الهدف الذي جاء القرآن كله لتحقيقه : إنشاء أمة وإقامة دولة ، وتنظيم مجتمع ، على أساس من عقيدة خاصة ، وتصور معين ، وبناء جديد .... الأصل فيه إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان ، وتلقي منهج الحياة وشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها منه بلا شريك ...] (167).
- ومن هذا المنطلق فإن الشيخ سعيد يرى - وفقا لنظريته في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم أن سورة المائدة تفصل في آيتين من سورة البقرة هما { **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } البقرة : 26 ، 27**

يوضح الشيخ سعيد الصلة بين هاتين الآيتين باعتبارها محور سورة المائدة [وفق النظرية التي وضعها الشيخ سعيد فيقول : [فهذا هو الطريق إلى الكفر والنفاق ، نقض للعهد ، وقطع لما أمر الله به أن يوصل ، وإفساد في الأرض ، فهؤلاء هم الفاسقون، وهم الخاسرون وهم الكافرون وهم المنافقون بقسميهم [يعنى نفاق العقيدة

166- الأساس المجلد الثالث ص 1289 : 1298 باختصار

167- المرجع السابق نفس الموضوع ويراجع الظلال 2/ 825 بتصرف يسير

ونفاق الأخلاق] وتأتى سورة المائدة لتحرر المرء من هذه الأخلاق وتفصل فيها ، وتدعو إلى ما يقابلها ،] [168]

* وتحت عنوان (كلمة في سورة الأنعام) يوضح الشيخ سعيد موضوع السورة ومقصدها كما يتحدث عن محورها من سورة البقرة وأنها تفصل في قوله تعالى { **كيفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {28} هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {29}}** ويربط بينها وبين سورة النساء والمائدة من حيث أن السور الثلاث تفصل في مقطع الطريقين من سورة البقرة المقطع الذي دل على طريق التقوى وحدد طريق الانحراف وناقش أصل الانحراف وهو الكفر ....إن مقطع الطريقين بدأ بالدعوة إلى العبادة [**يا أيها الناس اعبدوا ربكم** .....] معللا لوجوبها بخلق الله للإنسان وخلقه الأشياء من أجله وانتهى بمناقشة الله للكافرين وإقامة الحجة عليهم من خلال ظاهرتي الحياة والعناية وجاءت السور الثلاث يعنى [النساء والمائدة والأنعام]
لنفصل في هذا كله يعنى [الآيات من قوله تعالى (**يا أيها الناس اعبدوا ربكم**)
إلى قوله تعالى (**وهو بكل شئ عليم**) البقرة 21 : 29
ومن هذا العرض يتبين لنا : ذكر الشيخ سعيد للنقاط الآتية

1 - صلة سور الأنعام بمحورها في سورة البقرة .
2 - موضوع سورة الأنعام وهدفها .
3 - صلة السور الثلاث [النساء والمائدة والأنعام] بمحورها من سورة البقرة .

وينقل الشيخ سعيد عن الألوسي رأيه في صلة أول الأنعام بآخر سورة المائدة وقد نقل الألوسي عن الإمام السيوطى في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور ما ذكره من أن سورة الأنعام تفصيل لقوله تعالى { لله ملك السموات والأرض وما فيهن } [169]فلقد فصلت سورة

---
[168] - الأساس المجلد الثالث ص 1295
[169] - المائدة : 120

الأنعام ما أجمل في هذه الآية من أفراد الخلق المملوكين لله تعالى " [170]
وإضافة إلى ذلك فإن صاحب الأساس ينقل عن صاحب الظلال ما ذكره في موضوع سورة الأنعام ، من ذلك نقله عنه قوله :- [إن موضوعها - يعنى سورة الأنعام - الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو موضوع العقيدة بكل مقوماتها وبكل مكوناتها ، وهى تأخذ بمجامع النفس البشرية ، وتطوف بها في الوجود كله ...... إنها تطوف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض ، نلحظ فيها الظلمات والنور ، ونرقب
الشمس والقمر والنجوم وتسرح في الجنات المعروشات وغير المعروشات .....]. [171]
* ومن خلال ما سبق يتضح لنا : استفادة الشيخ سعيد ممن سبقوه في توضيح الوحدة الموضوعية للسورة هذا إلى جانب مجيئه بآراء جديدة في هذا المقام .

---

170 - الأساس المجلد الثالث ص 1557 : 1561 و يراجع الألوسي ج7 ص 76 ، 77 ط دار إحياء التراث العربي ويراجع تناسق الدرر في تناسب السور للإمام السيوطى ص 50

171 - الأساس المجلد الثالث ص 1564 ويراجع الظلال المجلد الثاني ص 1016

3 - تقسيم السورة إلى مقاطع وفقرات .

وبعد أن يقدم الشيخ سعيد للسورة موضحا وحدتها الموضوعية ومحورها في السياق القرآني معتمدا على فهمه ومستفيدا أيضا ممن سبقوه ، يقوم بتقسيم السورة ، ويهمنا هنا أن نوضح معالم هذا التقسيم :-
فنقول وبالله التوفيق :- لقد اعتمد هذا التقسيم على أساسين أحدهما وهو الأعم الأغلب (المعنى) والثاني وهو الذي يعتمد عليه الشيخ سعيد في بعض الأحيان وهو (اللفظ) الذي يستأنس به الشيخ سعيد في توضيح بدايات المقاطع ونهايتها ، ومن خلال المعاني والمعالم يبرز الشيخ سعيد النقاط الآتية

أ - الصلة بين مقدمة السورة وموضوعها : ففي تفسيره لسورة يونس يوضح المناسبة بين مقدمة السورة ومضمونها فيقول : تبدأ السورة بآية تدل على مضمون السورة وهى (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) [172] فالآية الأولى في السورة تذكر حكمة الكتاب ، وذلك يؤكد أنه لا ريب فيه ، وأنه هدى يجب أن يهتدي به الناس ،

فهذه الآية التي هي مقدمة السورة تشير إلى مضمونها ، كما أنها في محلها تحقق ما يسمى في علم البلاغة (ببراعة الاستهلال) على أعظمه وأروعه [173] (2) ولله ولكتابه المثل الأعلى ، وتنزه كتابه وكلامه أن يشبه كلام البشر0]

* وفي تفسير سورة القيامة يوضح الصلة أيضا بين مطلعها وموضوعها : فيقول
[... أقول : أن تبدأ السورة التي تتحدث عن المعاد والتكليف بالقسم بيوم القيامة ، وبالنفس اللوامة ، تلك مقدمة تدل على المقصود ، وتدل على موضوع السورة .]

* وفي تفسير سورة طه يربط بين مقدمة السورة ومقاطعها ، وننقل عنه - على سبيل المثال لا الحصر - ما ذكره عن صلة المقطع الثاني للسورة من مقدمتها فيقول
[أما الصلة بين مقدمة السورة وسياقها هنا فهي من حيث

172- يونس : 1
173- الأساس المجلد الخامس ص 2416 .

إنها تبين لنا أن الوحي تذكرة لمن يخشى ، وقد رأينا كيف أن السحرة تذكروا ، فلم يكن الوحي شقاء لموسى ولا لهم ، فالشقاء : هو بقاء الإنسان على الكفر ورفضه للإيمان والعبرة بالخواتيم في الدنيا والآخرة ...... إنه لا سعادة بدون هداية ، ولا شقاء معها ، ولا فلاح بدون إيمان ولا شقاء معه وفي قول السحرة - كما حكى القرآن { إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) [174]ما يفيد أن الإنسان لو عذبه الكافرون كل حياته لما كان ذلك يساوى شيئا ، ولما كان ذلك بالنسبة له شقاء - ومن ثم فإننا ندرك أن السورة تعالج التصور الخاطئ لمفهوم الشقاء والسعادة ....] . [175]

ويقول الشيخ سعيد في موضع آخر من تفسيره للسورة وتحت عنوان (كلمة في السياق) :

[نلاحظ أن قصة موسى جاءت بعد قوله تعالى : { وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفي ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى } [176]

وختمت قصة موسى بقوله تعالى { إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علما} [177]إن ذكر قصة موسى بين الآيتين المذكورتين لدليل على أن منزل القرآن وسع علمه كل شئ ، وانه يعلم السر وأخفي ، كما أن في ذكر قصة موسى التي هي تكليف له بالتوحيد ودعوة وحماية له بعد قوله تعالى (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) نموذج على أن ما يدعو إليه القرآن من التوحيد هو دعوة كل الرسل ، ومن ثم فالصلة بين قصة موسى ومقدمة السورة من الوضوح بما لا مزيد عليه .....] [178]

ب - الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها :- ففي تفسير سورة الشعراء وتحت عنوان (كلمة في السياق) يعقد الشيخ سعيد الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها فيقول :

[نلاحظ أن خاتمة السورة انصبت على إقامة الحجة على أن هذا القرآن من عند الله وعلى أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها واضحة { طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، لعلك

---

[174]- طه : 72

[175]- الأساس المجلد السابع ص 3374 بتصرف

[176]-سورة طه : 7 : 9

[177]-سورة طه : 98

[178]- الأساس المجلد السابع ص 3384 ، 3385 ويراجع ص 3388 ، 3389

باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين } [179]، } وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين }[180]

وفي تفسير سورة القصص يستكشف الشيخ سعيد الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها فيقول تحت عنوان (كلمة في السياق) : [نلاحظ أنه قد ورد في القسم الأول من السورة على لسان موسى عليه السلام (رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) [181] وها هنا يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) [182]وهذا يشير إلى أن مقاصد السورة الرئيسية التربية على هذا المعنى.] . [183]

- ويضيف إلى ذلك قوله [... بدأت السورة بقوله تعالى : (طسم تلك آيات الكتاب المبين) [184]وفي هذه الآية ورد قوله تعالى : (ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) [185] (2) فالصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها لا تخفي ،] (3) [186] من حيث حديث كل منهما عن القرآن الكريم .
- وعن الصلة بين مطلع سورة يونس وخاتمتها ينقل عن صاحب الظلال قوله: [والترابط في سياق السورة يوحد بين مطلعها وختامها . فيجئ في المطلع قوله تعالى (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ } 1{ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ {2} [يونس : 1،2] . ويجئ في الختام (واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) [يونس : 109]

179- الشعراء : 1، 3

180- الشعراء : 192 ، 194

181- القصص : 17

182-القصص : 86

183- الأساس المجلد السابع ص 4120

184- سورة القصص : 1، 2

185- القصص : 87

186- الأساس المجلد السابع ص 4120

- .... فالحديث عن قضية الوحي هو المطلع وهو الختام ، كما أنه هو الموضوع المتصل الملتحم بين المطلع والختام] [187]

جـ - الصلة بين مقدمة السورة ومحورها :- ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره في تفسير سورة يوسف تحت عنوان (كلمة في سورة بوسف ومحورها) فالشيخ سعيد يرى أن محور سورة يوسف من سورة البقرة هو قوله تعالى في سوره البقرة (**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**) [البقرة : 23] ويقول في صلة هذا المحور بمقدمة سورة يوسف ونهايتها ، أدركنا أن محور السورة هو هذا ، فسورة يوسف تبدأ بتقرير أن منزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم هو الله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه هذا القرآن كان من الغافلين [188] ، وتختم السورة بنفي أن يكون هذا القرآن مفترى من دون الله ، وما بين ذلك تأتى قصة يوسف عليه السلام بتفصيل وترتيب عجيبين ليكون ذكرها في هذا المقام دليلا على أن هذا القرآن من عند الله وعلى انه لا يرقى إليه ريب ولاشك ، وأنه لا يكون إلا من عند الله بما حواه من تفصيل لكل شئ وهداية ورحمة 0] [189]

* ويقول أيضا في تفسير سورة طه تحت عنوان (كلمة في السياق) : [إن صلة هذه المقدمة بمحور السورة واضح ، فالمقدمة أقامت الحجة على أن هذا القرآن يسعد ولا يشقى ، وفي ذلك دعوة للإيمان به ، والمقدمة بينت

187- الأساس المجلد الخامس ص 2415 نقلا عن الظلال المجلد الثالث ص 1745 وما بعدها ويراجع على سبيل المثال المجلد العاشر ص 6009 ، 6010

188-1 - معنى قوله (وان كنت من قبله لمن الغافلين) أي غير عالم به ، إذ لم يخطر ببالك ، ولم يقرع سمعك وعبر عن عدم العلم بالغفلة إحلالا لشأن النبي صلى الله عليه وسلم وإظهارا لمنزلته وعدم مجابهته بما هو قبيح ، قال تعالى (**وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**) [العنكبوت : 48] ، وقال تعالى **(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان**) [الشورى : 52] أي ما كنت تعرف الكتاب ولا تعلم شرائع الإيمان على وجه التفصيل قبل أن ينزل الوحي عليك .

189- الأساس المجلد الخامس ص 2622

أنه مذكر لمن يخشى ، فهي دعوة للخشية ، وللتذكر بهذا القرآن ، أي هي دعوة للإيمان ، فالصلة بينها وبين قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) [190] واضحة ، خاصة وقد عرفت على المنزل وهو الله ، وعرفت المنزل وهو القرآن ، وردت على توهمات في شأنه ، كما أن الصلة بين مقدمة سورة طه وقوله تعالى في سورة البقرة عن القرآن (هدى للمتقين) [191] وبينها وبين قوله تعالى : (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) [192]واضحة - مما يؤكد أن محور سورة طه هو الآيات الأولى من سورة البقرة ....] [193] .

- وبهذا يتضح لنا إبراز الشيخ سعيد للصلة بين مقدمة السورة وموضوعها[194] ، وبين مقدمة السورة وخاتمتها وبين مقدمة السورة ومحورها من سورة البقرة .

- وكما يربط الشيخ سعيد بين مقدمة السورة وبين موضوعها ومحورها وخاتمتها ، فإنه يوضح - تقسيمات السورة -[الأقسام والمقاطع والفقرات والمجموعات] ويكشف عن وحدة القسم أو المقطع ....، من خلال تدبره للمعنى0
- كما يوضح صلة هذه التقسيمات بمحور السورة 0

وفيما يلي نقدم بعض النماذج الدالة على ذلك :

- وحدة القسم أو المقطع أو الفقرة أو المجموعة :

- ولو تأملنا في الأقسام والمقاطع والفقرات والمجموعات لوجدنا حرص الشيخ سعيد على إبراز وحدتها الموضوعية والأمثلة على ذلك كثيرة في التفسير نذكر منها ، ما أورده في تفسير سورة الفجر حيث قسم السورة إلى ثلاث فقرات :

الفقرة الأولى من آية (1 : 14)

الفقرة الثانية من آية (15 : 20)

190- البقرة : 4

191- - البقرة : 2

192- البقرة : 5

193-المرجع السابق المجلد السابع ص 3345 ويراجع أيضا لمجلد التاسع ص 5118 حيث وضح صلة سورة الزخرف بمحورها من السياق القرآني .

194- يراجع أيضا ما ذكره في صلة مقدمة سورة فصلت بموضوعها المجلد التاسع ص 5024 ، 5025

الفقرة الثالثة من آية (21 : 30)

ولقد تحدث الشيخ عن وحدة كل مقطع وعن صلته بالسورة وبمحورها من القرآن الكريم .

يقول عن الفقرة الأولى [000 السياق في الفقرة الأولى يصب في التعريف على الله عز وجل ، وجلاله وعلى هذا يمكن أن نقدر الجواب : إن ربك لمحاسب ومعاقب] . [195]

ويقول في صلة الفقرة الأولى بمحور السورة : [.. في ذكر مواسم العبادة وبعض أوقاتها { والفجر وليال عشر والشفع والوتر} [196] وفي جواب القسم المقدر (ألم تر كيف فعل ربك بعاد .....) الآيات [197] ذكر لبعض جوانب الغيب الذي يجب الإيمان به ، ولذلك صلته بقوله تعالى في مقدمة سورة البقرة (... الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) [198] وهذا أول مظهر من مظاهر صلة السورة بمقدمة سورة البقرة ....] [199] .

ويعود الشيخ سعيد إلى الحديث عن الفقرة الأولى مرة ثانية فيقول [واضح أن الفقرة .... تهدف إلى تعريفنا بالله عز وجل من خلال الأقسام ومن خلال فعله بالأمم المكذبة ، والدليل على ذلك ما جاء بعد الأقسام ..... وفي التعريف على جلال الله عز وجل وتعظيمه من خلال الأقسام ، ومن خلال فعله تعالى بالطاغين دعوة إلى الخوف منه .... وذلك كله دعوة ضمنية إلى التقوى وصلة ذلك بقوله تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ...) [200] - في مقدمة سورة البقرة -واضحة فلا خلاص من الطغيان والفساد إلا بالتقوى التي من أركانها الالتزام بكتاب الله والاهتداء بهداه 0] [201]

هـ- الاستدلال بالمعاني والاستئناس بالمعالم على تحديد البدايات والنهايات للتقسيمات يعتمد الشيخ سعيد في

195- الأساس المجلد الحادي عشر ص 6513 بتصرف .
196- سورة الفجر : 1، 2
197- الفجر : 6 ، 14
198- سورة البقرة : 3
199- الأساس المجلد الحادي عشر ص 6513
200- البقرة : 1، 3
201- الأساس المجلد الحادي عشر ص 6515 . ويراجع أيضا على سبيل المثال المجلد الأول ص 587 المقطع الثاني من القسم الثالث والمجلد الثاني ص 1166 ، 1167 (كلمة السياق) والمجلد الثالث ص 1439 تحت عنوان (كلمة في السياق)

تحديده لبدايات التقسيمات ونهايتها على المعاني كما يستأنس أحيانا لمعرفتها بالمعالم - أي التشابه اللفظي - والأمثلة على ذلك كثيرة في الأساس نذكر منها :-

* تحت عنوان (كلمة في بعض العلامات التي تدلنا على المقاطع) :- يقول الشيخ سعيد في تفسير سورة الأنعام : [من الملاحظ أن الآية الأولى في سورة الأنعام مبدوءة بـ (الحمد لله) ثم تأتى الآية الثانية مبدوءة بقوله تعالى (هو) ، والآية الثالثة المبدوءة بقوله تعلى (وهو) ثم تتكرر كلمة (وهو) في السورة كثيراً كما رأينا ، فكأنها معطوفة على (هو) الأولى في السورة ، وإن من العلامات التي تحدد بديات ونهايات بعض المقاطع في السورة أن نرى (وهو) فقد اعتدنا في السياق القرآني أن نرى مقطعا تشبه بدايته نهايته ، ولذلك نرى أن آخر مقطع في السورة بدايته (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) [202]، فأول آية فيه مبدوءة بقوله تعالى (وهو) وآخر آية فيه مبدوءة بقوله تعالى (وهو) . (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) [203]] . [204]

ولكن هل هذا أمر مطرد في جميع المقاطع ؟

يقول الشيخ سعيد : [وقد نرى مقاطع ليست مبدوءة بمثل هذا ولا مختومة بمثله ، وقد نرى مقاطع مبدوءة بذلك وليست مختومة به ، ولقد جرينا على أن نعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعد المعنى في تحديد بداية المقطع أو نهايته ، ولكن الشيء الأكثر تحديدا والذي يجعلنا نحدد به المقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعنى وسنرى ذلك واضحا في السورة 0] . [205]

- وفي تفسيره لسورة الزمر : التي يقسمها لمقدمة ومقطعين : نلاحظ أنه اعتمد على المعنى واللفظ في تقسيمه للسورة .

فالمقدمة تبدأ بقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم). [206]

202- - الأنعام : 141

203- الأنعام : 165

204- الأساس المجلد الثالث ص 1567

205- الأساس المجلد الثالث ص 1567

206- الزمر : 1

والمقطع الأول يبدأ بقوله تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ...) [207] والمقطع الثاني يبدأ بقوله تعالى (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق) [208] وعلى هذا التقسيم والتشابه بين المقدمة وبداية المقطعين يقول الشيخ سعيد : [إن التشابه بين بداية المقطع الثاني وبداية المقطع الأول ومقدمة السورة يشير إلى أن البداية الجديدة سيبدأ معها السياق الرئيسي للسورة سيره من جديد 0]. [209]

- وتحت عنوان كلمة أخيرة في سورة الزمر : يقول الشيخ سعيد - موضحا الصلة بين مقدمة السورة وبين ما تضمنته [بدأت السورة بقوله تعالى{ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم } وقد كانت السورة مجلى لعزة الله وحكمته ، فرأينا آثار عزة الله في الكلام عن خلقه وعظمته ، وفعله بالكافرين والمكذبين والمستكبرين في الدنيا والآخرة ، ورأينا آثار عزته بأمره بالعبادة والتقوى ولإحسان والتوبة والإنابة ورأينا آثار حكمته ، في العرض والأمر والنهي ، وإحاطة الأمر بكل ما يلزمه من معان ، وتكرار المعنى اللازم تكراره بأكثر من طريقة عرض وفي الوقت نفسه فقد كانت السورة تدليلا على أن هذا القرآن منزل من عند الله إذ هي نموذج لمجموعة خصائص برهان كامل على أن هذا القرآن من عند الله 0] [210]
- ومن هذا النموذج يتضح لنا الصلة بين مقدمة السورة وموضوعها وبين بداية المقطعين وموضوع السورة أيضا .
- وفي تفسير سورة الزخرف : يقسم الشيخ سعيد السورة إلى مقدمة وثلاث مقاطع يبدأ كل مقطع بلفظة (وإنه) فيقول : [تتألف سورة الزخرف من مقدمة هي ثلاث آيات : (حم ، والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) [211]، ثم تأتى ثلاثة مقاطع كل مقطع منها مبدوء بقوله تعالى (وإنه) ، الأول (إنه) أي القرآن (في أم الكتاب لدينا

- [207] الزمر : 2
- [208] الزمر : 14
- [209] المرجع السابق المجلد التاسع ص 4878
- [210] نفس المرجع المجلد التاسع ص 491 6 ، 4917
- [211] سورة الزخرف : 1، 3

لعلى حكيم) [212] والثاني (وإنه) أي القرآن (لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ..) [213]
والثالث (وإنه) أي القرآن على رأى الحسن البصري وسعيد بن جبير - وهو ما رجحه الشيخ سعيد - **(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ {61})** [214]
إنك تجد من بدايات المقاطع هذه أن الكلام منصب على خصائص هذا القرآن ، وتجد فيها دعوة إلى الإيمان به ، والتسليم له ، والعمل به ، فضلا عن نفي الريب عنه.] [215]

- **ومن هذا النموذج يتضح لنا اعتماد الشيخ في تحديد بدايات المقاطع على المعاني واستئناسه بالتشابه اللفظي - الذي يخدم المعنى - بين بدايات المقاطع .**

و- اهتمامه بذكر مناسبة الآية لما قبلها ومناسبتها لسياق السورة .

- في تفسير الفقرة الثانية من المقطع الأول من القسم الأول من سورة البقرة :

{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } البقرة : 26 ، 27

يعقد الشيخ سعيد عدة مناسبات هي : مناسبة الآيتين بمقدمة السورة ومناسبتهما للسياق العام للسورة وصلتهما بما قبلهما مباشرة0 [216]

- وفي تفسير قوله تعالى **(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ**

212- الزخرف : 4
213- - الزخرف : 44
214- الزخرف : 61
215- الأساس المجلد التاسع ص 5118 .
216- الأساس المجلد الأول ص 100 ، 101

عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {80} [217] : يعقد الشيخ سعيد الصلة بين هذه الآية وما قبلها فيقول : [مجيء هذه لآية بعد ما قبلها بمثابة البيان لأسباب هذه المواقف الخائنة ، إن جرأة اليهود على التحريف والتبديل ، وعلى الكيد والمكر والحسد ، والخداع ومعاندة الأنبياء ، وغير ذلك من صفاتهم ومواقفهم ، إن ذلك كله سببه هذا الاعتقاد الفاسد أن مدة مكثهم في النار أياما معدودات ، ثم إن مجيء الآية بعد الآية التي ذكرت كتاباتهم المختلفة ، ونسبتهم إياها إلى الله يوحي كذلك بان هذا مما اختلقوه ، وقالوا هو من عند الله 0] . [218]

- وفي تفسير قوله تعالى{**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**} [البقرة : 195]

يقول الشيخ سعيد :[...وأما النهى عن إهلاك النفس : فإذا نظرنا إلى النص مجردا كان له معنى . وإذا نظرنا إليه من خلال الآية التي هو فيها ، أعطانا معنى آخر وإذا نظرنا إليه أنه جزء من السياق أعطانا معنى جديدا . وكل هذه المعاني مرادة وكلها قد ذكرها أئمة التفسير عند شرح الآية ، فإذا نظرنا إلى النص مجردا فهمنا منه أنه نهى عن قتلنا أنفسنا . أي لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم ، كما يقال اهلك فلان نفسه بيده : إذا تسبب في هلاكها .وهل يدخل في ذلك ما لو أمر إنسان بمعروف أو نهى عن منكر فقتل ؟ الجواب : لا ؛ بل هو مأجور ، ويدخل في ذلك ما إذا هاجم الكفار وألقى بنفسه عليهم فقتل ؟ قالت الحنفية إذا كان بفعله هذا ينكى فيهم ويلقى الرعب في قلوبهم0] . [219]

وإذا نظرنا إلى هذا النهى وورده بعد الأمر بالإنفاق فهمنا منه انه نهى عن ترك الإنفاق في سبيل الله ، لأنه سبب للإهلاك - ويؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن حذيفة في الآية قال " نزلت في النفقة " [220]] .

217- - البقرة : 80

218- - الأساس المجلد الأول ص 169 ويراجع ص 407 ، ص 438 ، 439

219- الأساس المجلد الأول ص 447 بتصرف

220- رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب تفسير سورة البقرة [فتح الباري ج8 ص : 33 ط - الريان للتراث]

- وأورد الشيخ سعيد أقوالا أخرى عن ابن عباس وعن الضحاك وعن سعيد بن جبير وعن الحسن البصري تؤيد ذلك ثم أتبعها بقوله :
[وإذا نظرنا إلى هذا النهى من خلال وروده بعد آيات القتال فهمنا منه انه نهى عن ترك الجهاد-وأورد الشيخ سعيد في ذلك قولا عن أبى أيوب الأنصاري يؤيد ذلك] . ([221])

[وقد لاحظنا أن هذه الاتجاهات الثلاثة الرئيسية في فهم هذا النص ، سببها ملاحظة النص مجردا ، أو السياق القريب ، أو السياق العام ، وهذا قد يكون أبرز مثال من خلال كلام أئمة التفسير لما حاولنا إبرازه سابقا من أن هذا القرآن لا تتناهى معانيه فمن خلال المعنى المجرد ومن خلال السابق القريب والسياق العام والوحدة القرآنية ، ومن خلال عبارة النص ، ومن خلال إشارة النص ، تتولد معان لا تتناهى ، وكل يأخذ من كتاب الله على قدر ما قسمه الله له وهذه المعاني كلها حق .....] ([222])

ز- الوحدة الموضوعية للآية القرآنية :

وكما اجتهد الشيخ سعيد في إبراز تتابع السياق القرآني وانتظامه ،فربط بين الآية وسابقتها وبين الآية وسياقها .فقد أبرز الوحدة الموضوعية للآية القرآنية - من خلال ترابطها واتصال أجزائها ([223])

والأمثلة على ذلك كثيرة في التفسير نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :-

- في تفسير سورة الرحمن وعند قوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) ([224])

يتوقف الشيخ سعيد عند هذه الآية ليوضح الصلة بين رفع السماء ووضع الميزان - لما فيها من صلة وثيقة ومناسبة دقيقة - يقول الشيخ سعيد : [(والسماء رفعها) أي جعلها مرفوعة عن الأرض وفي ذلك إبعاد للخطر عن الأرض (ووضع الميزان) قال ابن كثير : يعنى العدل

221- الأساس المجلد الأول ص 447 بتصرف

222- نفس المرجع والمجلد ص 448 ويراجع المجلد الثاني ص 1136 : 1138 والمجلد الثالث ص 1367

223-- نعنى بوحدة الآية ترابطها واتساقها ولا يعنى بذلك ضرورة استقلالها بموضوع خاص بها فللآية اتصالها بسياقها 0

224- الرحمن : 7

[225] ، وقال النسفي : أي كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها ... وقال أي خلق موضوعا على الأرض حيث علق به أحكام عبادة من التسوية والتعديل في أخذهم وعطائهم] . [226]
أقول : وفي ذكر وضع الميزان بعد ذكر رفع السماء إشارة إلى أن من جملة الموازين اكتشاف أبعاد السماء ، والموازين التي يزن التي يزن بها الإنسان أبعاد الزمان والمكان ، وفي ذكر الميزان في هذا السياق إشارة إلى أن الميزان من نعم الله الجليلة التي تعدل المنن الأخرى على البشرية] . [227]
وفي تفسير قوله تعالى **(لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا** {148}) [228]يوضح الشيخ سعيد سر تنزيل الجملة بقوله تعالى (وكان الله سميعا عليما) أي سميعا لشكوى المظلوم عليما بظلم الظالم0 [229].
وفي تفسير قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** {54}) [230]
يوضح الشيخ سعيد سر تنزيل الجملة بقوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) فيقول (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) هذا إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والمذلة والعزة ولمجهدة ،وانتقاء خوف اللوامة (والله واسع عليم) ومن سعته كثرة أفضاله ،ومن علمه أن يعطى هذه الصفات لمن هو أهلها) [231]
- وفي تفسير قوله تعالى : **{الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ }**{1}) [232] .

---
[225]-تفسير ابن كثير ج 4 ص 270
[226]- تفسير النسفي ج 4 ص 208
[227]- الأساس المجلد العاشر ص 5646 :5647
[228]-النساء : 148
[229]-الأساس المجلد الثاني ص 1217
[230]-المائدة : 54
[231]- الأساس المجلد الثالث ص 1430
[232]- الأنعام : 1

يوضح الشيخ سعيد الصلة بين (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) فيقول أي ومع هذا كله فان الكافرين يساوون به غيره 0 تقول عدلت هذا بهذا إذا سويته به واستعمال (ثم) في المقام يفيد استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته فما افظع فعلهم ! انه بدلا من أن يحمدوه كفروا نعمته وعدلوا به سواه مما لا يقدر على شيء من الخلق0) . [233]

جـ - إبراز الصلة بين خاتمة السورة وموضوعها ومحورها

كما عقد الشيخ سعيد الصلة بين مقدمة السورة وموضوعها وخاتمتها ومحورها فلقد اهتم بإبراز الصلة بين خاتمة السورة وموضوعها ومحورها .

ومن الأمثلة على ذلك :

- ما أورده في الصلة بين خاتمة سورة الشعراء التي تبدأ بقوله تعالى(وانه لتنزيل رب العالمين) [234] إلى آخر السورة] ورد معنا حتى الآن في السورة ثماني مجموعات ، ولم يبق عندنا إلا الخاتمة التي سيقت المجموعات الثمانية قبلها لتصب في خدمتها ، إذ الخاتمة تتحدث عن المعجزة القرآنية ، وتحذر من الإعراض عنها ، ومن عصيان الرسول الذي أنزلت عليه ، كما تتحدث عن بعض واجبات هذا الرسول وعن نزاهته من أن يكون كاذبا .

فالمجموعات السابقة لفتت النظر إلى آيات من آيات الله التي تدل عليه وتشهد على عزته ورحمته وفيها تقدير لرسالة المرسلين ..... وتحذير من مخالفتهم ...فإذا اتضح التقرير والتحذير من خلال عرض آيات الله في الكون وفي التاريخ ، يتجه السياق الآن للكلام المباشر عن القرآن والرسول ، إذ الوصول إلى الكلام عن ذلك هو المقصود الأكبر من السياق في السورة التي تفصل قوله تعالى في سورة البقرة { تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين } [235] وقد تلا الله عز وجل علينا في كل مجموعة آية من آياته { وإنك لمن المرسلين }.

- يعنى الشيخ بذلك أن كل مجموعة تحدثنا عن هؤلاء المرسلين - فالمجموعة الثانية - بعد مجموعة المقدمة -

---

233 -- الأساس المجلد الثالث ص 1575 ويراجع المجلد التاسع ص 4848 والمجلد العاشر ص 5782

234 - الآيات من سورة الشعراء : 192 ، 227

235 -- البقرة : 252

تحدثنا عن قصة موسى - والثالثة عن قصة إبراهيم والرابعة عن قصة نوح والخامسة عن قصة هود والسادسة عن قصة صالح والسابعة عن قصة لوط والثامنة عن قصة شعيب ، عليهم السلام - ودليل ذلك يعنى كونك من المرسلين - هذه الآيات المنزلة عليك { وإنه لتنزيل رب العالمين } [236] . [237]

- وبمناسبة قوله تعالى في خاتمة السورة { **أفبعذابنا يستعجلون** } [238]

يقول الشيخ سعيد تحت عنوان (كلمة في السياق) :

[لاحظنا من خلال عرض القصص السابقة أن الاستعجال بالعذاب دأب الأمم السابقة ، وفي الخاتمة يسجل الله عز وجل استعجال الكافرين من هذه الأمة للعذاب ، وذلك من جملة مظاهر كون خاتمة السورة امتدادا لسياقها .

بل إن كل آية في الخاتمة تكاد تكون امتدادا لمعنى ورد من قبل ، ويأتي الرد على هؤلاء المستعجلين بقوله تعالى{ **أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون** } [239].] [240]

وفي تفسير قوله تعالى (**وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ، ذكرى وما كنا ظالمين**) [241] يربط الشيخ سعيد بين هاتين الآيتين اللتين وقعتا في مجموعة الخاتمة - لسورة الشعراء وبين سياق السورة فيقول : [- جاءت هاتان الآيتان - كرد ثان على استعجالهم العذاب ؛ إذ يبين الله سنة من سننه في هذا الشأن ، والملاحظ أنه يأتي هذا الموضوع في الخاتمة ، بعد أن عرض الله علينا في السورة ستة نماذج على إهلاكه قرى أنذرت فكذبت ، ومن ثم تعرف معنى قولنا كيف أن ما ذكر قبل الخاتمة يصب في خدمة الخاتمة ، وان كل آية في الخاتمة مرتبطة بسياق السورة الخاص بشكل بارز وواضح .] [242]

وفي تفسير قوله تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم) يقول الشيخ سعيد تحت عنوان (كلمة في السياق) :

236- الشعراء من الآية: 192 ، 277
237- الأساس المجلد السابع ص 3951 ، 3952 بتصرف
238- الشعراء : 204
239- الشعراء : 205 ، 207
240- الأساس المجلد السابع ص 3957 ، 3958
241 - الشعراء : 208 ، 209
242- الأساس المجلد السابع ص 3958 .

[نلاحظ أنه في كل مجموعة من المجموعات الثمانية السابقة ورد في خاتمتها قوله تعالى :{ وإن ربك لهو العزيز الرحيم } وذلك بعد ذكر مظهر من مظاهر عزته ورحمته ، وهاهنا رأينا قوله تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم) أي الذي رأيت مظاهر عزته ورحمته فيما مضى ، بحيث يورثك الإيمان الكامل والتوكل الأعلى ، كيف وهو الذي يراك في أحوالك كلها ، ويراك في أعلى مقامات عبوديتك مصليا في الليل منفردا ، وإماما في الليل والنهار ، وإذن فالصلة بين آيات الخاتمة وسياق السورة واضح في كل آية من آيات الخاتمة .] .

- ويذكر الشيخ سعيد الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها ويوضح أيضا الصلة بين الخاتمة وموضوع السورة وصلة ذلك بمحور السورة من سورة البقرة فيقول : [نلاحظ أن خاتمة السورة انصبت على إقامة الحجة على أن هذا القرآن من عند الله ، وعلى أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم - والصلة بين الخاتمة ومقدمة السورة واضحة { **طسم تلك آيات الكتاب المبين ، لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** } إلى قوله تعالى { وإن ربك لهو العزيز الرحيم } –[الشعراء : 1: 9] وهكذا نجد السورة ترتبط خاتمتها بمقدمتها ، وترتبط مجموعاتها كلها برباط واحد وسياق واحد وكل ذلك تفصيل للمحور (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين)] البقرة : 252 . [243]

* مما سبق يتضح لنا اهتمام الشيخ سعيد بإبراز الصلة بين خاتمة السورة وسياقها وبين الخاتمة والمقدمة وبين الخاتمة ومحور السورة من سورة البقرة ، ونقدم نماذج أخرى على سبيل الإيضاح :-

في تفسير سورة الطلاق يوضح الشيخ سعيد الصلة بين خاتمة السورة وبين مضمونها - حيث ختمت السورة بقوله تعالى (**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** {12}) [244] فيقول : [في ختم السورة بهذه الآية تبيان لكون أحكام الله عز وجل في غاية الإحكام ، كيف لا وهو المحيط علما بكل شئ ، كما أن فيه تبيانا لقدرة

---

243 - الأساس المجلد السابع ص 3963

244 -الطلاق : 12

الله على إيجاد ما وعد وأوعد كيف لا وهو القادر على كل شئ .] [245]

- كما يوضح الشيخ سعيد الصلة بين خاتمة السورة ومحورها من سورة البقرة فيقول : [أمر الله عز وجل في محور السورة من سورة البقرة عباده بالعبادة والتقوى ؛ قياما بحق الشكر له على ما خلقهم ، وخلق لهم الأرض والسماء (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** {21} **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** {22}) [البقرة : 21، 22] والملاحظ أن الله عز وجل ختم سورة الطلاق بذكر خلق السموات والأرض ليهيج عباده على الإيمان والالتزام ، وفي ذلك كله مظهر من مظاهر التفصيل واتصال سورة الطلاق بمحورها من سورة البقرة . [246]

- ويوضح الشيخ سعيد أيضا الصلة بين خاتمة السورة وامتداد المحور في سورة البقرة [247]

فيقول :[والملاحظ أن المقطع الأول من القسم الأول من سورة البقرة ختم بقوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) [248] وقد جاء في خاتمة سورة الطلاق بعض هذا ما يؤكد صلة السورة بمحورها وامتداده وارتباطاته ، وأن السياق الخاص للسورة كان واضح الترابط والاتصال فلا نقف اكثر من ذلك عنده ....] . [249]

ومن خلال ما ذكرناه في هذا المبحث يتبين لنا مدى اهتمام الشيخ سعيد بإبراز الوحدة الموضوعية للسورة ولقد اتضح لنا ذلك من خلال ما يلي :-

1 - الحديث عن موضوع السورة وهدفها .
2 - بيان الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها وموضوعها
3 -

245- الأساس المجلد العاشر ص 5985

246- نفس المرجع والصفحة

247- تقع آية المحور [يا أيها الناس اعبدوا ربكم ....] في بداية المقطع الأول من القسم الأول من السورة البقرة وينتهي هذا المقطع بقوله تعالى [هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء) يراجع الأساس المجلد الأول ص 93 ، 94

248- البقرة : 29

249- الأساس المجلد العاشر ص 5986

4 -ّ ّ ّ ّ ّ ومحورها وامتداد هذا المحور
5 -ّ ّ ّ ّ ّ وسياقها القريب
6 - بيان الصلة بين تقسيمات السورة بعضها البعض [الأقسام والمقاطع والفقرات والمجوعات
7 - بيان الوحدة الموضوعية لكل تقسيم .
8 - بيان الوحدة الموضوعية للآية الكريمة بمعنى اتصال أجزائها .
9 - بيان الصلة بين خاتمة السورة وموضوعها .
10 - بيان الصلة بين خاتمة السورة ومحورها وامتداد هذا المحور .

ومن خلال هذه الأمور العشرة يتبين لنا مدى اهتمام الشيخ سعيد بإبراز وحدة السورة ، وتميزه بهذه الطريقة التي لم يسلكها قبله أحد - فيما أعلم - وإن كان بعض المفسرين قد التزم ببعض الأمور التي أوردناها إلا أننا يمكننا أن نجزم هنا أن هذه الطريقة لم تجتمع هكذا عند أحد من المفسرين من القدامى والمحدثين سوى الشيخ سعيد رحمه الله .

المبحث الرابع
نظرية الشيخ سعيد في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم

أولا : بين يدي هذه النظرية ولمحة عن جهود السابقين من قدامى ومحدثين في هذا الموضوع .

* حينما سمعت أن للشيخ سعيد نظرية في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال تفسيره ، وقبل أن يقع التفسير بين يدي لا أخفي على القارئ الكريم أنني خلت هذه النظرية ضربا من ضروب التكلف وحسبتها من التعسف في فهم القرآن .

ولكن هذا الحكم المتعجل سرعان ما تراجعت عنه حينما قرأت مقدمة الأساس في التفسير ، وحينما منّ الله على بقراءة التفسير تكونت لدى عناصر الحكم على هذه النظرية ، وقديما قالوا : (الحكم على الشيء فرع من تصوره)

* وقبل أن اعرف القارئ بهذه النظرية ، وأسجل ملاحظاتي عليها ، أحيط القارئ علما بأنني رجعت إلى مؤلفات القدامى والمحدثين من المهتمين بالوحدة القرآنية فوجدت جهدا وفيرا وعلما غزيرا ، لا ينبغي أن أمر بهذا الموضوع دون إشارة إليه ، فأقول وبالله التوفيق : فضلا عن اهتمام السابقين بالحديث عن مناسبة السورة للسورة من جهة المناسبة في الموضوع والصلة بين الفواتح وبين خاتمة السورة السابقة لمقدمة السورة اللاحقة ، فإن السابقين قد ظهرت لهم مناسبات أخرى ، فالإمام البقاعي [250] في كتابه [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور] فطن للمناسبة بين البسملة وموضوع السورة وبين عنوان السورة وموضوعها0 [251]

250- هو العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعي ، المفسر المؤرخ المحدث الأديب ولد 809 هـ ـ له مؤلفات جمة في شتى العلوم تراجع ترجمته في شذرات الذهب : 340 لابن العماد ط مكتبة القدس ط 1352 هـ

251- وفي ذلك يقول في مقدمة كتابه [وقد ظهر لي ... أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ، لأن اسم كل شئ تظهر المناسبة بينه وبين مسماه ، عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه ... ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها ، فأذكر المقصود من كل سورة ، وأربط بينه وبين اسمها ، وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة " نظم الدرر ج1 ص 18 ، 9 ط حيدر آباد الدكن -

والخطيب الشربينى والإمام القشيرى قد أبرزا مناسبة البسملة للسورة أيضا [252] .

* ومن أنواع المناسبات التي أشار إليها الإمام السيوطى في كتابه [تناسق الدرر في تناسب السور] : تفصيل بعض السور لما أجمل في بعضها يقول في ذكره لمناسبة سورة البقرة لسورة الفاتحة : [.. قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات : أحدها : أن القاعدة التي استقرأتها من القرآن : كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها ، وشرح له ، وإطناب لإيجازه ، وقد استمر ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها ، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة ......] [253]

وفي مناسبة سورة آل عمران لما قبلها يقول : [.. قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات أحدها : مراعاة القاعدة التي قررتها من شرح كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها وذلك هنا في عدة مواضع منها أن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بقوله (لا ريب فيه) [254]وفي آل عمران (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) [255] وذلك بسط وإطناب لنفي الريب] [256] وفي مناسبة سورة النساء لما قبلها يقول [هذه السورة شارحة

252- يقول الدكتور إبراهيم بسيونى في مقدمته التي قدم بها كتاب (لطائف الإشارات) للإمام عبد الكريم القشيرى : [سار القشيرى في اللطائف على خطة واضحة محددة ..فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة .... ومع تكرار البسملة في كل سورة فإنه يفسرها كل مرة على نحو ملفت للنظر ....
ويزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة يتمشى مع السياق العام للسورة كلها] لطائف الإشارات للقشيرى تحقيق د. إبراهيم بسيونى المجلد الأول ص 26 ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ويراجع تفسيره للبسملة في سورة الفاتحة ص 44 ، وفي سورة البقرة ص 52 ، 53 ، ولسورة آل عمران ص 217 ، 218 ولسورة النساء ص 310 ، وعلى هذا النهج سار الخطيب الشربينى في تفسيره [السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلمات ربنا الحكيم الخبير] ، وعلى سبيل المثال : يفسر البسملة في سورة الفاتحة فيقول : [(بسم الله) أي الملك الأعظم الذي لا يعبد إلا إياه (الرحمن) الذي عم بنعمتي إيجاده وبيانه جميع خلقه ...(الرحيم) الذي خص من بينهم أهل وده ورضاه ، [السراج المنير ج1 ص 4 ط دار المعرفة وفي تفسير سورة آل عمران ، يقول : [-(بسم الله) الذي له صفات الكمال فاستحق التفرد بالألوهية (الرحمن) الذي سرت رحمته خلال الوجود فشملت كل موجود بالكرم والجود(الرحيم)لمن توكل عليه بالعطف إليه] [المرجع السابق ج1 ص 193

253- - تناسق الدرر في تناسب السور للإمام جلال الدين السيوطى تحقيق عبد الله محمد درويش ص 36 ط دار الكتاب العربي - سوريا

254 - البقرة : 2

255- آل عمران : 3

256-نفس المرجع ص 40 ، 43

لمجملات سورة البقرة ....] وفي مناسبة سورة المائدة لما قبلها يقول : [هذه السورة أيضا شارحة لبقية مجملات سورة البقرة .....]

وفي مناسبة سورة الأنعام لما قبلها : يقول وكانت هذه السورة بأسرها متعلقة بالفاتحة من جهة كونها شارحة لإجمال (رب العالمين) وبالبقرة من حيث كونها شارحة لإجمال قوله تعالى (الذي خلقكم والذين من قبلكم) وقوله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) .... ثم ذكر أوجه مناسبتها لسورة آل عمران والنساء والمائدة ،) وفي مناسبة سورة الأعراف لسورة الأنعام يذكر السيوطى كيف فصلت سورة الأعراف بعض ما أجملته سورة الأنعام [257] .

ويتضح لنا مما ذكره الإمام السيوطى أن : سورة البقرة فيها تفصيل لمعاني سورة الفاتحة ثم فصلت سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام في معاني سورة البقرة ، وهذه الوجه التي توصل إليها الإمام السيوطى سوف نراها في تفسير الأساس بصورة أوسع وأدق .

ومما سبق ذكره يتضح لنا:

أن السابقين كانت لهم محاولات جادة وكثيرة في المناسبات فأوجه المناسبات كثيرة ومتعددة والقرآن الكريم وحدة جامعة ولقد أشار إلى ذلك الكثير من العلماء في مؤلفاتهم ، **يقول ابن هشام الأنصاري في كتابه مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : [.... فالقرآن كله كالسورة الواحدة ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى ، نحو { وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون } [258] وجوابه { ما أنت بنعمة ربك بمجنون }] [259]**

وفيما يلي نستعرض نظرية الوحدة الموضوعية التي أبرزها الشيخ سعيد من خلال الأساس في التفسير يعد هذه المقدمة الموجزة التي أشرنا فيها إلى بعض جهود السابقين:

---

[257]- نفس المرجع ص 52 : 55

[258]- الحجر : 6

[259]- القلم : 6 ويراجع مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري المتوفى 761 ص 328 ط دار الفكر

ثانيا : القواعد العامة للنظرية :

1 - تقوم هذه النظرية على اعتبار أن سورة البقرة فصلت ما أجملته سورة الفاتحة من مقاصد ومعان ثم جاءت السور التالية لسورة البقرة لتفصل في معان واردة في سورة البقرة .

2 - بناء على نصوص ومعان ومعالم حدد الشيخ سعيد أقسام القرآن الأربعة : قسم الطوال ، وقسم المئين ، وقسم المثاني ، وقسم المفصل .

3 - أما القسم الأول فإنه يبدأ من سورة البقرة وينتهي بسورة التوبة والسور من آل عمران إلى التوبة تفصل في آيات معينة متتابعة في سورة البقرة من الآية -1- وحتى الآية -39- إضافة إلى الآيات (216 ، 217 ، 218) من نفس السورة . وهذا القسم يمثل مجموعة واحدة تجمعها وحدة موضوعية واحدة ، ولقد حاول الشيخ سعيد في مواضع كثيرة من التفسير إبراز الوحدة الموضوعية لهذا القسم وصلة سورة بسورة البقرة .

ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر بعض أوجه هذه الصلات :

- في صلة سورة آل عمران بمحورها من سورة البقرة : وهى الآيات الخمس الأولى من قوله تعالى (الم) إلى قوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) ؛ حيث بدأت السورتان بـ (الم) وانتهت الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة بقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) وانتهت سورة آل عمران بقوله تعالى (لعلكم تفلحون) لاحظ الصلة بين مقدمة آيات المحور وخاتمتها وبين مقدمة سورة آل عمران وخاتمتها ، (260) يقول الشيخ سعيد [.. وعلى هذا ، فسورة آل عمران تلقى أضواء التفصيل على الآيات الأولى من سورة البقرة . وسورة النساء تقابل بعد ذلك في سورة البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) ونلاحظ أن سورة النساء مبدوءة بـ (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ....)

وليلاحظ الشبه بين آية البقرة وبداية سورة النساء أما سورة المائدة فإنها تفصل في قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) ،

260- يراجع الأساس المجلد الثاني ص 685 ، 686

ونلاحظ أن سورة المائدة مبدوءة بـ (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود).
وتفصل الأنعام في قوله تعالى (كيف تكفرون باله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ، هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ......) ، وتفصل سورة الأعراف في قوله تعالى (..... فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) .

يلاحظ الصلة بين هذه الآية وبين مقدمة سورة الأعراف ، أما سورتا الأنفال والتوبة فإنهما يفصلان في محور واحد من سورة البقرة وهو قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ....) يلاحظ الصلة بين استفتاح الآية بالسؤال واستهلال سورة الأنفال بالسؤال أيضا . [261]

4 - ثم يأتي قسم المئين الذي يحدد الشيخ سعيد بدايته ونهايته وفقا لما ترجح لديه من أدلة [262] ثم يوضح أن هذا القسم بناء على تتبع ما فيه من المعاني ينقسم إلى ثلاث مجموعات ، كل مجموعة تفصل في آيات من سورة البقرة نوع تفصيل ثم تأتى المجموعة الأخرى لتفصل في سورة البقرة تفصيلا آخر .
ولمزيد من الإيضاح نقدم هذا الجدول البياني لهذا القسم نوضح فيه مجموعات الثلاث ومحاور كل سورة فيه ، ثم نسجل بعض الملاحظات على هذه النظرية : -

---

[261]- يراجع الأساس المجلد الثاني ص 685 ، 686
[262]- يراجع الأساس المجلد الخامس ص 2407 : 2410

جدول بياني لقسم المئين من أول سورة يونس وحتى سورة الـقصص

المجموعة	السورة	محورها من سورة البقرة
الأولى	**يونس هود يوسف الرعد إبراهيم**	1، 2 21 23 ، 24 26 257، 258
الثانية	**الحجر النحل الإسراء الكهف مريم**	1 :5 210 211 212 213
الثالثة	**طه الأنبياء الحج المؤمنين النور الفرقان الشعراء النمل القصص**	1 : 5 6 21، 22 25، 29 208 213 252 252 252

ثالثا : ملاحظات على هذه النظرية :-

أ - نلاحظ أن آيات بعينها تعد محورا لأكثر من سورة : فعلى سبيل المثل نلحظ أن قوله تعالى **(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)** قد فصلت سورة النساء وسورة هود في هذه الآية ولكن لكل سورة سياقها ومجالها في تفصيل هذه الآية يقول الشيخ سعيد [إنه لمن الواضح أن سورة هود تفصل في قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم ....) ومن قبل فصلت سورة النساء في هذه الآية ، ولكن تفصيل سورة النساء انصب على التقوى وهاهنا ينصب تفصيل سورة هود على الأمر (اعبدوا ربكم) ومحله في دين الله وفي رسالات الرسل] (263) .

- ونلاحظ أن محور سورة النساء وسورة هود هو نفس محور سورة الحج وفي ذلك يقول الشيخ سعيد [سورة الحج تفصل في سورة البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) فهي مثل سورة النساء ومثل سورة هود إلا أن سورة النساء حددت معالم التقوى وسورة هود حددت معالم العبادة وسورة الحج تهيج على التقوى وتبعث عليها ، وتدل على منعرجات الطريق ومزالقه ، وعلى الصوارف . وقد اشتركت سور أخرى في تفصيل نفس هذا المحور هي سورة الأحزاب وفصلت والأحقاف والطلاق والمزمل والانفطار والانشقاق والأعلى والغاشية والشرح والعلق والتكاثر تفصل هذه السور في نفس المحور والآيات التي تليه مباشرة]

ب - ولكن ما هو السر في تفصيل سور كثيرة لآيات معينة في سورة البقرة ؟

إن مرجع ذلك إلى اشتمال هذه الآيات على المقاصد والقواعد الكلية التي تحتاج إلى شرح وتفصيل يقول الشيخ سعيد : [وقد يتساءل متسائل ، لماذا هذا التركيز كله على الآيات الأولى من سورة البقرة حتى ليكاد يكون قسم المفصل كله تفصيلا لذلك ؟ والجواب : إن هذه المعاني التي ذكرتها الآيات الأولى من سورة البقرة عليها مدار الإسلام كله ، فبقدر ما تتعمق معانيها في النفس البشرية وتتضح يكون الإسلام قائما والأمر مستقيما ....] (264) .

---

263 - الأساس المجلد الخامس ص 2525 بتصرف .

264- الأساس المجلد العاشر ص 5843 ويراجع ما ذكره في المجلد السابع ص 3893 تحت عنوان كلمة في سورة الفرقان .

جـ- وإذا كان لبعض السور محور واحد مشترك بينها مع تنوع سياق كل سورة فربما كان للسورة الواحدة اكثر من محور : وهذا ما نراه في سورة الأحزاب التي تفصل في محورين : محورة سورة النساء ، ومحور سورة المائدة ، يقول الشيخ سعيد [.....إن سورة الأحزاب تفصل من البقرة ما فصلت فيه سورة النساء وسورة المائدة بان واحد ، فهي تفصل في محوري سورتي النساء والمائدة وتفصل معاني موجودة في سورتي النساء والمائدة وهو موضوع سنرى تفصيلاته إن شاء الله ، لقد فصلت سورة النساء في قوله تعالى من سورة البقرة [يا أيها الناس اعبدوا ربكم ....] وفصلت سورة المائدة في قوله تعالى من سورة البقرة (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ....] .
وما بين الآيتين قد تناولته سورتا النساء والمائدة بنوع من التفصيل .... فسورة الأحزاب تفصل في الآيات المذكورة وما استكن فيها مما فصلته سور أخرى وهو لون من ألوان التفصيل في القرآن الذي وصفه تعالى بقوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)] **(265)** .
5 - وبعد الانتهاء من قسم المئين يبدأ الشيخ سعيد في قسم المثاني الذي تحدد بدايته بسورة العنكبوت وينتهي بسورة ق ، ويستند الشيخ سعيد في تحديده للقسم بمعان ومعالم ونصوص ترجمت لديه **(266)**
6- ويقوم الشيخ سعيد بتقسيم قسم المثاني إلى خمس مجموعات وفي ذلك يقول :
[يتألف قسم المثاني من خمس مجموعات ، كل مجموعة تفصل في سورة البقرة نوع تفصيل ، فهي تبدأ في تفصيل الآية منها ، ثم تأتى المجموعة الثانية فتبدأ التفصيل من البداية وهكذا ، وذلك كذلك سبب من أسباب تسمية هذا القسم بالمثاني ، وسنرى كيف أن المعاني هي التي ستحدد لنا بدايات المجموعات ونهايتها .....] . **(267)**
7 - وينتهي الشيخ سعيد بعد ذلك إلى القسم الرابع والأخير وهو قسم المفصل الذي يبدأ من سورة الذاريات وينتهي بسورة الناس مقدمات لذلك بكلمة عن هذا القسم وسر

---

265 - نفس المرجع المجلد الثامن ص 4382 ، 4383 بتصرف
266 - يراجع المجلد الثامن ص 4149 : 4151
267- نفس المرجع المجلد الثامن ص 4151 بتصرف

تسميته بذلك والنصوص والمعاني التي استند بها الشيخ سعيد لتحديد هذا القسم ، أما عن مجموعات هذا القسم فيقول عنها : [يتألف هذا القسم من خمس عشرة مجموعة ، وكل مجموعة تفصل في معان من سورة البقرة من بدايتها إلى شئ منها ، وكل سورة في مجموعة لها محورها من سورة البقرة ، فهي تفصل في هذا المحور ، وفي امتداده في سورة البقرة ، وهو شئ قد رأيناه كثيرا ، ورأينا الدليل عليه مرة بعد مرة ...] [268]

رابعا : تساؤلات حول النظرية ... والإجابة عليها 0

وهنا نطرح هذه التساؤلات ونجيب عليه :- لماذا سورة البقرة ؟

- وما هي الخطوات التي يتتبعها الشيخ سعيد في تأكيد الصلة بين كل سورة ومحورها من سورة البقرة ؟
- وهل انفرد الشيخ سعيد بهذه النظرية أم أنه سبق إليها ؟

الإجابة على التساؤل الأول : لماذا سورة البقرة :

لقد احتوت سورة البقرة على كثير من المقاصد والأحكام جملة وتفصيلا ، وفي ذلك يقول الإمام السيوطى في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور : [إن سورة البقرة هي أجمع سور القرآن للأحكام والأمثال ولهذا سميت في أثر (فسطاط القرآن) الذي هو المدينة الجامعة] أ . هـ [269]

---

[268]- المرجع نفسه المجلد العاشر ص 5495

[269]- تناسق الدرر في تناسب السور للإمام السيوطى ص 39 وهذا الأثر هو ما ذكره أبو شجاع الديلمى بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال :
[السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة ، قيل وما البطلة؟ قال السحرة0) مسند الفردوس للحافظ شيرويه بن شهر دار بن شيروية الديلمى 445 هـ - 509 هـ - ج2 ص 489 وذكره السيوطى في الجامع الصغير وقال شارحه عبد الرؤوف المناوى [فيه إسماعيل بن زياد الشامي وهو يضع الحديث] فيض القدير في شرح الجامع الصغير للإمام عبد الرؤوف المناوى ج4ص 149

كما وردت كثير من النصوص التي توضح لنا موضع سورة البقرة من سور القرآن من ذلك ما رواه الإمام أحمد والإمام الترمذي بسندهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لكل شئ سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي " . [270]

والمقصود بكلمة سنام أعلى الشيء وذروته قال الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد الجزرى في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر : [سنام كل شئ أعلاه ، وإن سنام القرآن سورة البقرة إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة وأما لما فيها من الأمر بالجهاد وبه الرفعة الكبيرة0] . [271]

كما استند الشيخ سعيد على صحة نظريته بحديث ، ذكره في التفسير بدون عزوه إلى مصدره يقول تحت عنوان (كلمة خاتمة عن سورة البقرة) : [... ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة البقرة قوله : " إن كادت لتستحصى القرآن كله " .

وقد رأينا خلال استعراضنا للسورة كيف أنها استوعبت من المعاني ما لا يحاط به ، ولكن الأمر بالنسبة لسورة البقرة ، أوسع مما عرضناه ...] . [272]

ويقول تحت عنوان (أهم ميزات هذا التفسير): [ومن ثم فإنك تدرك بعضا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سورة البقرة : " إن كادت لتستحصي الدين كله "] [273]- ولقد قمت بالبحث عن هذا الحديث الذي أورده الشيخ سعيد دون أن يخرجه ، وبعد الرجوع إلى ما تيسر لى من المراجع الحديثية وفقني المولى عز وجل إلى الوصول إليه فوجدته في كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول للإمام ابن الأثير ، في معرض ذكره لما ورد في فضائل سورة البقرة وآل عمران ، ونصه كما يلي :

---

270 - رواه الإمام أحمد في مسنده كتاب [فضائل القرآن وتفسيره وأسباب نزوله] باب فضل سورة البقرة [الفتح الرباني ج18 ص 69] ورواه الإمام الترمذي في جامعه -أبواب فضائل القرآن - باب ما جاء في سورة البقرة 0[يراجع تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى المجلد الثامن ص 186 ، 187 ط دار الفكر]

271- النهاية في غريب الحديث والأثر للجزري ج3 ص 445 ط المكتبة الإسلامية .

272 - الأساس المجلد الأول ص 674

273- الأساس المجلد الثاني ص 686.

[روى مسلم بسنده عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان ، أو كأنهما فرقان .... الخ)، قال ابن الأثير أخرجه مسلم ، زاد في رواية " ما من عبد يقرأ بها في ركعة قبل أن يسجد ثم يسال الله تعالى شيئا إلا أعطاه ، إن كادت لتستحصى الدين كله " قال الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لكتاب جامع الأصول - :[هذه الزيادة لم نجدها عند مسلم ولعلها من زيادات الحميدي] [274] ، وذكر ابن الأثير حديثا آخر رواه الإمام الترمذي بسنده عن أبى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فقرأ كل رجل ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك أنت يا فلان ؟ فقال : معي كذا وكذا وسورة البقرة . قال : أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم ، قال :اذهب فأنت أميرهم ، فإنها إن كادت لتستحصى الدين كله " .

قال الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط محقق جامع الأصول [جملة (فإنها إن كادت لتستحصى الدين كله) ليست في نسخ الترمذي المطبوعة] أقول ولم أعثر على هذه الزيادة في أي كتاب من كتب السنة إلا في هذا الموضع من جامع الأصول لابن الأثير الذي عزاها مرة لمسلم ومرة للترمذى وعلى الأول فهي صحيحة وعلى الثاني فهي تدور بين الصحة والحسن وعلى فرض صحتها أو حسنها فهي من الأدلة القوية على صحة ما ذهب إليه الشيخ سعيد في الوحدة الموضوعية ، والله تعالى اعلم .

274- لم أقف عليها في مسند الحميدي (أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ت 219هـ)

ويراجع جامع الأصول في أحاديث الرسول للإمام المبارك بن محمد الأثير الجزرى المجلد الثامن ص 470 ، 471 ط دار الفكر بيروت تحقيق الأستاذ عبد القادر الارناؤوط ط 2 1403 هـ 1983 م - والحديث أخرجه الترمذي بدون تلك الزيادة في سننه - أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي [تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي ج8 ص 186 ، 187 .

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبى العاص التقفي ما كان سببا لشفائه ودعائه له ج5 ص 308 تحقيق د. عبد المعطى القلعجي وأخرجه ابن ماجة في سننه - كتاب الطب -باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه0 وقال في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات [سنن ابن ماجة ج2 ص 1174] ولم يذكر البيهقى ولا ابن ماجة هذه الزيادة التي ذكرها ابن الأثير في جامع الأصول .

وأخرجه البيهقى في الدلائل عن عثمان بن العاص - رضى الله عنه - قال : استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك أنى كنت قرأت سورة البقرة) [275]

- ومن خلال هذه النصوص يتضح لنا موقع هذه السورة من سور القرآن ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يستأمر أحد الصحابة لأنه يحفظ سورة البقرة ويستعمل عثمان بن العاص الذي قدم مع وفد ثقيف رغم أنه كان أصغر القوم سنا وذلك لأنه يحفظ سورة البقرة، كما يصف الرسول صلى الله عليه وسلم سورة البقرة بأنها سنام القرآن وسنام الشيء هو أعلاه وذروته ودليله وعنوانه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد . [276]

وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفها بأنها فسطاط القرآن والفسطاط هو المدينة الجامعة التي تحيط بما فيها وتشمله ، وهكذا نستلهم من جملة هذه النصوص موقع سورة البقرة من سور القرآن 0

أما عن مقاصدها الكلية وأهدافها العامة والموضوعات التي عالجتها فالحديث عنها يطول ، ولقد تحدث عنها القدامى والمحدثون بين إسهاب واقتضاب ، [277]وبالإطلاع على الآثار والنصوص الواردة في فضل سورة البقرة والتأمل

275- الحديث أخرجه الترمذي بدون تلك الزيادة في سننه - أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي [تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي ج8 ص 186 ، 187 ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبى العاص التقفي ما كان سببا لشفائه ودعائه له ج5 ص 308 تحقيق د. عبد المعطى القلعجي وأخرجه ابن ماجة في سننه - كتاب الطب -باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه0 وقال في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات = [سنن ابن ماجة ج2 ص 1174] ولم يذكر البيهقى ولا ابن ماجة هذه الزيادة التي ذكرها ابن الأثير في جامع الأصول .

276 - ديوان حسان بن ثابت والبيت من بحر الطويل ، يراجع ديوان حسان بن ثابت شرح وتعليق عبده مهنا ص 99 ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 1406 هـ 1986م

277- يراجع فيذلك تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ج1 ص 105 : 121 ط 4 دار المنار بمصر 1373 هـ ، 1954 م ويراجع صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابوني ج1 ص 29 ، 30 ط دار القلم ، مكتبة جدة : ط5 1406 هـ 1986 م كما يراجع الأساس المجلد الأول ص 61 : 64 تحت عنوان كلمة في سورة البقرة وسياقها .

في معانيها واستلهام مراميها مع الوقوف على أهداف هذه السورة وموضوعاتها ندرك من ذلك كله الإجابة على التساؤل الذي طرحناه وهو لماذا كانت سورة البقرة محورا لما بعدها ؟ فنقول هذه السورة كانت كذلك لأنها جامعة لمقاصد القرآن ، مستوعبة لأهدافه .

الإجابة عن التساؤل الثاني :
ما هي الخطوات التي يتبعها لشيخ في تأكيد الصلة بين كل سورة ومحورها ؟

يوضح الشيخ سعيد أوجه الصلة بين كل سورة وبين محورها من سورة البقرة من خلال ما يلى :

1 - الصلة بين موضوع السورة وآية المحور 0
2 - الصلة بين موضوع مقدمة السورة وآية المحور 0
3 - الصلة بين موضوع مقاطع السورة وسياقها وبين آية المحور 0
4 - الصلة بين خاتمة السورة وآية المحور0
5 - الصلة بين السورة ومجموعتها . [278]

ويعتمد الشيخ سعيد في ذلك على المعاني كما يستأنس بالمعالم فضلا عن المعاني . [279]

الإجابة على التساؤل الثالث :

هل انفرد الشيخ سعيد بهذه النظرية أم أنه سبق إليها ؟
يجيب الشيخ سعيد على ذلك بقوله : [إن الخاصية الأولى لهذا التفسير ،وقد تكون ميزته الرئيسية - فيما اعلم - هي اشتماله على نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية وهو موضوع حاوله كثيرون ،وألفوا فيه الكتب ،وتوصلوا فيه إلى أشياء كثيرة ،ولكن اكثر ما اشتغلوا به ،كان أما يدور حول مناسبة الآية في السورة الواحدة أو مناسبة السورة لآخر ما قبلها ولم يزيدوا على ذلك فيما اعلم ،هذا مع ملاحظة أن الموضوع الأول نادرا من استوعبه والتزم به في تفسير كامل للقرآن ،وإذا التزم به فلم يكن ذلك على ضوء نظرية كاملة شاملة تحوى مفاتيح الوحدة القرآنية0] . [280]

278- يراجع المجلد الثامن ص 4608 والمجلد التاسع ص 5445 وما بعدها .
279- يراجع ما ذكرناه في المبحث السابق .
280- نفس المرجع المجلد الأول ص 21

أقــول : لقد اجتهد السابقون في موضوع الوحدة القرآنية اجتهادا كبيرا كما ذكرنا في مقدمة هذا المبحث وذكرنا كيف توصل الإمام السيوطى إلى إبراز الصلة بين سورة البقرة وبين السور التي تليها - آل عمران والنساء والمائدة والأنعام ، واعتبر أن هذه السور جاءت بتفصيل معان في سورة البقرة كما وضح أن من أوجه المناسبات تفصيل السورة لما أجمل فيما قبلها ، كما كان للإمام البقاعي وللخطيب الشربيني وللإمام القشيري إضافات قيمة في هذا الموضوع - كما بينا -0

* وإذا كانت نظرية الشيخ سعيد قائمة على اعتبار سورة البقرة محور لسور القرآن مع إشارته إلى تفصيلها لما أجمل في سورة الفاتحة التي حوت مقاصد القرآن فلقد فطن السابقون إلى اعتبار سورة الفاتحة محورا للقرآن الكريم كله وذلك لاشتمالها على جميع مقاصد الدين - بصورة مجملة، فصلتها سور القرآن -

وفي ذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية - اعلم أن هذه السورة - سورة الفاتحة - اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن) . [281]

وفي ذلك أيضا يقول الشيخ محمد على الصابوني في كتابه صفوة التفسير - بين يدي سورة الفاتحة - :[0000 وهى على قصرها ووجازتها - قد حوت معاني القرآن العظيم ،واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال فهي تتناول أصول الدين وفروعه ،وتتناول العقيدة والعبادة والتشريع ، 000000 إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف ،فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ولهذا تسمى (بأم الكتاب) لأنها جمعت مقاصده الأساسية0] . [282]

ولقد أشار أحد المحدثين إلى اعتبار سورة الفاتحة محورا لسور القرآن ، على أساسه تعرف الوحدة الموضوعية ، هو - ابن شهيد ميسلون محمد بن كمال احمد الخطيب - في كتابه (نظرة العجلان في أغراض القرآن) .

وفي ذلك يقول : [إن القرآن بجملته تفسير لسورة الفاتحة ،بتفصيل مجملها ،وكل سورة أخذت معنى منها ،وربما اشتبه قول بقول ، واجتذبت مناسبة بمناسبة ، وهى في القرآن على نظام مطرد نرى فيه أغراضا مجملة ،ثم

---

281 - التفسير القيم لابن قيم الجوزية ص 7 وما بعدها جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ط لجنة التراث العربي

282 - صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابوني ج 1 ص 24 بتصرف .

مفصلة في زمرة من السور بعد زمرة ، تنبيها فيما لو اتخذت مثلا غرضا من أغراضه الرئيسية ، مدارا لهذا الاعتبار ، لتعريف الإنسان بخالقه ومكانته كمبدع خلاق ، لما في الطبيعة مما تجده متكررا في معان متجددة ومناسبات لوفاء القصد ، داعية بأساليب منوعة تدور في كل بضع سور مفصلة0] . [283]

وكان من المنتظر أن يكون كتاب (نظرة العجلان في أغراض القرآن) تطبيقا لما ذكره مؤلفه من صلة سورة الفاتحة بسور القرآن ولكن المؤلف لم يحقق ذلك ، وكان جل همه بيان موضوعات السور وأغراضها فحسب مع إشارات إلى أوجه المناسبات بين أجزائها ، يقول الشيخ سعيد تحت عنوان (كلمة أخيرة في السياق القرآني العام) :[00 رأينا أن سورة الفاتحة ذكرت كل معان القرآن بإجمال ، وجاءت سورة البقرة لتفصل في الطريقين : طريق المنعم عليهم ، وطريق المغضوب عليهم والضالين ، وجاءت الآيات التسعة والثلاثون من سورة البقرة للتحدث عن المعاني الرئيسية في الهدى والضلال ، ثم جاءت بقية السورة لتخدم معنى من المعاني الآتية في هذه التسعة والثلاثين آية0] . [284]

خامسا : من مميزات هذه النظرية

1- من أهم مميزات هذه النظرية : أنها أول نظرية كاملة للوحدة الموضوعية ، استوعبت القرآن الكريم كله من سورة الفاتحة حتى سورة الناس ، كما كشفت الصلة بين أقسام القرآن الكريم الأربعة ووضحت وحدة كل قسم وتكامل معانيه ، وكيف جاءت كل مجموعة من المجموعات المندرجة تحت الأقسام لتفصل في محور معين من سورة البقرة وفي امتدادات هذا المحور 0

2- ذكرنا آنفا معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا إن لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة) قارن بين هذا الحديث وكلام الشيخ سعيد الآتي :-

يقول الشيخ سعيد تحت عنوان (كلمة في سورة فصلت ومجموعتها) : [وهذه المجموعة تضيف صرحا جديدا لموضوع التفصيل القرآني المتلاحم : جاءت سورة الفاتحة

---

283 - نظرة العجلان في أغراض القرآن لابن شهيد ميسلون محمد بن كمال أحمد الخطيب ص 9 ط المطبعة العصرية بدمشق –سوريا .

284- الأساس المجلد الحادي عشر ص 6770

ثم جاءت سورة البقرة ، ثم جاءت تتمة السبع الطوال لتضع الصرح الأول في تفصيلها ، ثم جاءت ثلاثة مجموعات في قسم المئين ، لتضيف صروحا ثلاثة أخرى في التفصيل ، ثم جاء قسم المثاني ليضيف ستة صروح أخرى ، ثم يأتي قسم المفصل ليضع صروحا أخرى في التفصيل ، فتكون آخر مجموعة فيه هي قمة الهرم ،
قاعدة الهرم هي سورة البقرة ، ثم يبنى الهرم بعد ذلك من مجموعات ، كل مجموعة اكبر من التي بعدها حتى نصل إلى القمة وفيما بين ذلك من الصلات ما لا يعلمه إلا الله عز وجل] 0 [285]

3- البناء القرآني وبناء النفس البشرية :-
ويوضح الشيخ سعيد أن [كل مجموعة لاحقة تبنى على كل ما سبقها من مجموعات ،وكل سورة تفصل في محور تبنى على التفصيلات السابقة لهذا المحور ، بحيث تعمق المعاني وتؤكدها وتكملها في عمليات متلاحقة ، يتكامل بها بناء النفس البشرية لتؤدى دورها مع غيرها في سير منضبط إلى الله عز وجل وفي صف واحد نحو تحقيق الأهداف 0] . [286]

4- الوحدة القرآنية ووحدة الكون :-
يقوم الشيخ سعيد في مواضع كثيرة من التفسير بالربط بين وحدة القرآن الكريم ووحدة الكون ، فكما أن هذا الكون الفسيح والعجيب ، الذي نعيش فيه يقوم على عدة عناصر متلائمة ومتوازنة ومقدرة بقدرها ،[فانك تجد في القرآن الشيء نفسه ،إذ تجد أن مجموعة سور القرآن تفصل في معان موجودة في سورة واحدة ولكنه تفصيل مدهش عجيب يتركب من هذا كله (114) سورة تستطيع أن تستخرج منها ملايين الموضوعات المتكاملة الكاملة المبينة لأي قضية من قضايا الوجود (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) [287] ، فسورة البقرة تشبه الإلكترونات

---

[285]-- الأساس المجلد التاسع ص 5051 ، وبالنظر إلى اعتبار سورة البقرة سنام القرآن وسنام الشيء كما قلنا هو ذروته وأعلاه ،وعنوان الشيء ودليله فكأن سورة البقرة دليل القرآن وعنوانه ، وعلى فهمنا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بان سورة البقرة فسطاط القرآن ،والفسطاط هو المدينة الجامعة التي تستوعب كل ما فيها ،فهي بمثابة القاعدة العريضة التي يبنى عليها 0

[286]- نفس المرجع والصفحة 0

[287]- - النحل : 89

والبروتونات ،وسور القرآن تشبه العناصر التي تتألف منها المادة 0] .(288)

- وكما أن أسرار هذا الكون لا يدركها إلا العلماء والباحثون المدققون فكذلك لا يعرف أسرار التعبير القرآني وأساليب نظمه إلا من وهبه المولى عز وجل علم ذلك0 (289)

- ويرد الشيخ سعيد على أصحاب النظرة السطحية وأولى الفهم القاصر وذوى الفهم الخاطئ ،الذين لا يدركون حقيقة الوحدة القرآنية ولا يحاولون إدراكها فيقول : [وكما أنك تستطيع من خلال أجزاء هذا الكون أن توجد ملايين المركبات أو تفرز الشيء الواحد وتضمه إلى بعضه فيخرج معك آلاف الأشياء فكذلك هذا القرآن ، إذا ركبت بعض مواضعه كلا على انفراد تجد ملايين الموضوعات وهكذا ، فما أحمق الذين يقترحون أن يكون القرآن على غير ما هو عليه ،وما أحمق اعتراضهم على انه لم تكن المواضيع القرآنية الواحدة بجانب بعضها 0ان استخراج المواضيع ذات الصبغة الواحدة قد ترك للجهد البشرى على مدى العصور ، فكما أن في الكون ما يحتاجه البشر على مدى العصور ومر الدهور فكذلك في القرآن ما يلبى حاجة البشرية ويوفي بمطالبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها0] . (290)

وكما أن للقرآن وحدته الموضوعية فان للكون وحدته واتساقه يقول الدكتور محمد الرميحى في مقال له بمجلة العربى الكويتية [00 ويؤكد علماء الفيزياء أن هناك نظرية موحدة عظمى تنظم حركة الكون كله ،وما فيه من كائنات حية وذرات وجسيمات جامدة 00] (291) .

ويوضح الشيخ سعيد وجه الشبه بين أجزاء الكون وعناصره وبين أجزاء القرآن وأقسامه فيقول : [في هذا الكون نجد مجموعات ضمن الوحدة الكلية ،كالمجموعة الشمسية بالنسبة لمجراتها ،وتجد أقساما تضم مجموعات

288- الأساس المجلد التاسع ص 5214

289- - يراجع ما ذكره في هذا المقام في المجلد الرابع ص 2121: 2122 تحت عنوان (أهم ما يمتاز به القرآن عن مناهج البشرية)- مقومات التصور الإسلامي لسيد قطب ص 41:79 ط دار الشروق ، كما يراجع كتاب الشيخ سعيد (الله جل جلاله) ص 80 وما بعدها تحت عنوان ظاهرة الوحدة ط مكتبة وهبة

290- الأساس المجلد الثامن ص 4156 :4157 بتصرف

291-مجلة العربى الكويتية ذو القعدة 1414 هـ مايو 1994 م ع 426 مقال الدكتور محمد الرميحي -حديث الشهر بعنوان (وخير جليس في الزمان شريط) ص 16: 25

كالمجرة بالنسبة للكون،وتجد الكون بمجموع مجراته ،والمجموعة الشمسية تتألف من أجزاء كل جزء منها يشكل وحدة مستقلة ضمن وحدة اكبر منها ،لها دورها المستقل ضمن الوحدة الكلية ،فكذلك هذا القرآن ؛الآية ضمن السورة ،والسورة ضمن المجموعة ،والمجموعة ضمن القسم ،والقسم ضمن القرآن لكل دوره المستقل ،مع أدائه دوره في الوحدة الأكبر منه] . [292]

5- الوحدة القرآنية ورسالة القرآن المتجددة :-

القرآن الكريم كتاب هداية وتذكرة قال تعالى(وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) طه : 113

وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) الزمر : 23 وقال تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) القصص : 51

ولو تأملنا في هذه الآيات وأمعنا فيها النظر وأعملنا فيها الفكر لوجدناها صريحة واضحة وشافية كافية في التدليل على ما نحن في صدد الحديث عنه ، من روعة الأسلوب القرآني وجماله الأخاذ وبراعة نظمه في توالى أقسامه وتتابع مجموعاته مع تناسقها وتكامل معانيها فلكل قسم ومجموعة سياقها الخاص وطابعه المميز0

ومع ذلك فلها صلة بالسياق القرآني العام ،وارتباطها بمحورها من سورة البقرة وتفصيلها في معانيها ،تفصيلا بعد تفصيل وبيانا بعد بيان وتذكيرا بعد تذكيرا0

ولقد أسهب الشيخ سعيد في الحديث عن هذه الخصائص والسمات التي يتميز بها النظم القرآني وأفصح عن ذلك في مواطن كثيرة من التفسير :

يقول تحت عنوان (كلمة أخيرة في المجموعة الثانية عشرة من قسم المفصل)

: [رأينا أن المجموعة الثانية عشرة قد فصلت في الأساس والطريق ، فأقامت صرحا جديدا في موضوع إقامة التقوى ، وتحرير الإنسان من الكفر ففصلت في التقوى وفي طريقها ، كما حررت من الكفر وأخلاقه ، فأضافت إلى

292-المرجع السابق المجلد الثامن ص 4157 ويراجع ما ذكره في هذا المعنى في ص 4494 : 4495 تحت عنوان (كلمة أخيرة في سورة الأحزاب)

المجموعات السابقة عليها معاني جديدة وأكدت معاني مذكورة من قبل ، وقد رأينا أن كل سورة من سور القرآن فيها جديد ، وهذا معنى أحببنا التركيز عليه ولفت النظر إليه في المجموعات الأخيرة حتى لا يفهم فاهم أن شيئا من القرآن يغنى عن بقية القرآن، نعم إن كل جزء من أجزاء القرآن وكل مجموعة من مجموعاته ، نذكر بالمعاني القرآنية ، كلها ، فمن هذه الحيثية فكل جزء من القرآن بل السورة الواحدة منه كافية للتذكير لمن أراد أن يتذكر ، ولكن القرآن بمجموعه هو الذي به كمل الدين ، وهو الذي به تم تفصيل كل شئ ، وبيان كل شئ ، فلا يحيط الإنسان بمجموع ما يلزمه من المعاني القرآنية إلا بمجموع القرآن] [293] .

ويقول الشيخ سعيد تحت عنوان (كلمة أخيرة في السياق القرآني العام) : [.... وقد رأينا أن بعض المجموعات استغرق حوالي ثمانية أجزاء ، بينما نجد المجموعة التي لا تتجاوز صفحة واحدة ، مع أن كل مجموعة فصلت في المعاني الرئيسية لسورة البقرة والحكمة في ذلك - والله اعلم - ان ينال كل إنسان حظه من الذكر حفظا وتلاوة ، وتذكرا بما يسع حاله ، وبحيث يأخذ نصيبه من تذكر المعاني الرئيسية على قدر ما يسعف وقته وفراغه واستعداده وذاكرته ، مع ملاحظة أن القرآن بجميعه لا بد من تلاوته وتدبره لمن أراد أن يعرف حقائق الأشياء على ما هي عليه قال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) [294] .] [295].

نعم لا غنى ببعض القرآن عن بعض فالقرآن كله وحده متكاملة متناسقة وفي ذلك يقول الشيخ سعيد : [وكل قسم من الأقسام يكمل بقيتها ، فقسم المفصل يكمل قسم المثانى وقسما المثانى والمفصل يكملان تفصيل قسم المئين ، والأقسام الثلاثة تكمل تفصيل قسم الطوال ، ولهذا كله قواعده وأسرار انتظامه ، وكل ذلك قد ربط بخيوط إلى سورة البقرة ، فكأنها الأصيل الذي ينبثق عنه بانتظام فروع أولى ، ثم فروع ثانية ، ثم فروع ثالثة ، ثم فروع رابعة ، فكأنها شجرة فيها أربعة وعشرون غصنا كل

293- - الأساس المجلد الحادي عشر ص 6583 بتصرف

294- النحل : 89

295- الأساس في التفسير المجلد الحادي عشر ص 6771

غصن له فروعه وأوراقه وثماره وارتباطاته بسورة البقرة ارتباطا منتظما دقيقا 0] [296] .
6 - الوحدة القرآنية أسلوب من أساليب التربية :- وبقدر معرفة المربى بطبيعة من يقوم على تربيته ، وإدراكه لما يلائمه ، وحرصه على ما ينفعه ، وبقدر إمكانيات المربى وطاقاته تكون التربية ، والقرآن الكريم كتاب الله عز وجل أنزله على رسوله الكريم ليربى به أمة الإسلام ، والمولى عز وجل عليم بما يصلح هذه الأمة ، قادر على تصريف أحوالها وتدبير أمورها .
ومن يدرك الوحدة القرآنية وأسلوب النظم القرآني يقف على معرفة أساليب القرآن التربوية ، يقول الشيخ سعيد في ذلك : [إن معرفة أسرار التربية القرآنية ، وطرائق القرآن في التربية ، لا يدرك أبعادها الإنسان إلا بقدر إدراكه لأسرار القرآن ، وبقدر ما نبنى هذه الأمة على ضوء المعرفة الصحيحة لكتاب الله نكون سائرين في طريق بناء
الإنسان البناء الصحيح لأن الله عز وجل منزل القرآن هو الأعلم بالإنسان .] [297] لقد أشار الشيخ سعيد إلى تلك الطريقة التي يطلقون عليها في هذا العصر (غسيل المخ) وتعتمد على وضع الإنسان تحت ظروف نفسية وجسدية صعبة حتى يتخلى عن مبادئه وأفكاره ثم يغرس في ذهنه مبادئ وأفكار أخرى تروق للقائمين على هذه العملية التي يلجا إليها في الغالب أجهزة المخابرات : [حتى تصبح الفكرة وكأنها جزء منه بحيث لو أراد أن يتحدث عما يخالفهما لم يستطيع ، ولدوائر المخابرات في هذا الموضوع أساليب وفنون 0] [298] لا تحترم - في اغلب أحوالها - لآدمية ولا تعرف الشفقة والرحمة ، بل إنها تقوم على الظلم والعدوان والوحشية والقسوة .[هذا غسيل المخ أما غسيل القلب ذلك شئ آخر : عندما تتراكم على فطرة الإنسان أنواع من الصدا فكيف يتم الجلاء ؟ الجواب : إن الجلاء في القرآن .
لقد جاءت سورة البقرة فربت على التقوى من خلال السياق ، وجاءت سورة آل عمران لتفصل أساس التقوى ضمن السياق ، وجاءت سورة النساء لتفصل في ماهية

296- الأساس في التفسير المجلد العاشر ص 5728 بتصرف.
297- 0000 المجلد السابع ص 4124
298- 0000 المجلد الثاني ص 1267

التقوى ضمن السياق ثم تأتى سور القرآن وفي كل سورة يأتي جديد فما إن يبدأ الإنسان يقرأ القرآن حتى يغسل القرآن قلبه ، إذا أدركت هذه النقطة تكون قد أدركت حكمة من حكم التكرار ، والتفصيل في القرآن ، وتكون قد عرفت سببا من أسباب كون القرآن على مثل هذا الترتيب [0 [299] فشتان بين غسيل المخ الذي يقوم به الظلمة والطغاة وما بين غسيل القلب الذي يقصده القرآن ، [ففي عملية غسيل المخ يوضع المعذب والضحية كرها في ظروف معينة ، من الخوف والجوع ، وتسلط عليه أنواع الهزء والسخرية بما هو عليه ، ثم تكرر عليه بعض المعاني بأساليب متعددة ، وطرق متعددة ، ليقلع عما هو فيه ، ويسير فيما يريده جلادوه ، أما غسيل القلب : فمنطلقه الاختيار ، وهدفه الارتقاء ، وظروفه الخوف والخشية ، وأدواته العبادة والصوم والذكر ، وزاده كتاب الله يصفي وينقى ، وشتان بين العدل والظلم ، والحرية والإكراه ، والخوف من الله والخوف من الجلادين ، والعبادة والسوط ، والمعاني القرآنية السامية ، والألفاظ السافلة الخسيسة ، وشتان بين ما يوصل إلى الجنة وبين ما يوصل إلى النار0] . [300]

هل استوعبت النظرية جميع آيات سورة البقرة ؟

* ومن أهم الملاحظات التي نسجلها على هذه النظرية - من سورة البقرة - وجدنا إن عدد هذه الآيات ثنتان وخمسون آية . علما بأن عدد آيات سورة البقرة كاملة ست وثمانون ومائتان آية . فهل استوعبت هذه النظرية سورة البقرة ؟ أم أنها قاصرة على جزء منها لا يتعدى خمس السورة ؟

299- الأساس المجلد الثاني ص 1267 ، 1268 بتصرف ، ولمزيد بيان في موضوع غسيل المخ يراجع كتاب (غسيل المخ وتحطيم العقائد) للأستاذ عبد الحكيم العفيفي ط الزهراء للإعلام العربي ط 1994

300- وهذا معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن القلوب تصدا كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال: كثرة ذكر الله وتلاوة القرآن)0

[شعب الإيمان ج2 ص 353 حديث 2014] وذكره الحافظ العراقي في تخرجه على إحياء علوم الدين المسمى بالمعنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار وعزاه إلي البيهقي في شعب الإيمان وقال إسناده ضعيف يراجع المغنى عن حمل الأسفار بهامش الأحياء ج1 ص 281 مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

وللإجابة على هذا التساؤل نقول وبالله التوفيق : لقد قامت هذه النظرية على أساس أن لكل سورة بعد سورة البقرة محورها ، تفصل فيه نوع تفصيل ولقد نالت آيات معينة من سورة البقرة اكبر قدر من التفصيل ، حيث اعتبرت محاور لسور كثيرة وهى الآيات من (39:1) وبالأخص لآيات من (5:1) التي اشتملت على كثير من المقاصد والمعاني التي فصلت في سورة كثيرة ، هذا بالإضافة إلى أن لهذه الآيات الأولى من سورة البقرة صلتها الوثيقة بها ، حيث تعتبر الآيات الأخرى التالية لها بناء عليها وتفصيلا فيها .
لذلك نرى الشيخ سعيد كلما مر بمقطع من مقاطع سورة البقرة يربط بينه وبين آيات المقدمة . [301] .
- حينما نفصل سورة في محور من سورة البقرة فإنما نفصل في المحور ذاته وفي امتدادات هذا المحور من سورة البقرة ، - ولقد عقد الشيخ سعيد صلات وثيقة بين آيات سورة البقرة وأكد وحدة السورة الموضوعة وتابع في تفسيره لها سياقها العام - لذلك كان لكل محور من سورة لبقرة امتداداته ، وارتباطاته ، وسياقه القريب والبعيد - ولمزيد من الإيضاح والبيان نسوق هذه النماذج من التفسير -:
* وردت (الطواسينات الثلاث) تفصيلا لقوله تعالى من سورة البقرة (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين) [302] ، ولقد اجتهد الشيخ سعيد في بيان الصلة بين هذه الآية وبين السور الثلاث التي فصلت فيها ولكنه مع ذلك يأتي في كل سورة من السور الثلاث ويوضح الصلة بين كل سورة وبين قوله تعالى من سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) [303] .

---

301 - يراجع على سبيل المثال ما ذكره تحت عنوان (كلمة في المقطع الأول من القسم الأول) من سورة البقرة حيث ذكر الصلة بين هذا المقطع وآيات المقدمة المجلد الأول ص 94 ، وما ذكره تحت عنوان (كلمة أخيرة في المقطع الأول من لقسم الأول) ص 112 - كما يراجع ما ذكره في المقطع الثاني تحت عنوان (كلمة عامة في هذا المقطع وسياقه) حيث عقد الصلة بينه وبين المقدمة وما ذكره تحت عنوان (المقطع الثالث من القسم الأول من أقسام سورة البقرة) ، (مدخل إلى المقطع ص 134 : 136 - ويراجع أيضا على سبيل المثال ما ذكره تحت عنوان (كلمة في المقطع الرابع - مقطع إبراهيم - وسياقه ص 262 : 264

302 - البقرة : 252

303 - البقرة : 208

والسر في ذلك أن هذه الآية لها صلتها بآية المحور (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق 00) فالآية الأولى والآية لثانية وقعتا في مقطع واحد وفي قسم واحد هو (المقطع الأول من القسم الثالث) من سورة البقرة ولكل قسم ولكل مقطع وحدته الموضوعية ومن هنا فان سياق الاثنين واحد [304] .

- وفي سورة الشعراء وتحت عنوان (كلمة في سورة الشعراء) يقول الشيخ سعيد : [وقد رأينا أن السورة عمقت عندنا مفاهيم تلزم لإقامة الإسلام الكامل الشامل وذلك أن السورة تفصل محورا أتيا في حيز قوله تعالى (ادخلوا في السلم كافة 00) 00] . [305]

- وفي سورة النمل تحت عنوان (كلمة في سورة النمل) يقول : ذكرنا أن سورة النمل تتألف من مقطعين كل منهما يرتبط بالآخر بأوثق رباط وذكرنا أن محور سورة النمل هو قوله تعالى في سورة البقرة (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين) الآتية في حيز قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) 0000 00000 وعلى هذا فالسورة عرضت لآيات من آيات الله التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم وخصائص المهتدين به وأنواع العقوبات التي أعدها الله لمن لا تتوافر فيه هذه الخصائص 00،وفي آيات السورة كلام عن آداب الإسلام وكلام معان من الإسلام تعرض علينا من خلال الكلام عن المرسلين 000] .[306]

وتحت عنوان كلمة في سورة القصص يقول الشيخ سعيد [00ان سورة القصص تفصل في الآية الآتية في حيز الأمر (ادخلوا في السلم كافة) ومن ثم تعالج فيها ما يخدم هذا الموضوع ،كتحطيم الأفكار التي تناهض قول الكافرين كما يحكى القرآن (وقالوا إن نتبع الهدى معك

304- القسم الثالث ويمتد من الآية (208) إلى الآية (284) والمقطع الأول منه من الآية (208) إلى الآية (253) ويراجع ما ذكره تحت عنوان القسم الثالث من أقسام سورة البقرة ص 485 :386 كما يراجع ما ذكره تحت عنوان (كلمة في الفقرة والمقطع) أي الفقرة الرابعة والأخيرة من المقطع الأول من القسم الثالث من سورة البقرة ص 586 حتى تتضح الصلة بين الآيتين (208 ، 252)

305- المجلد السابع ص 3973 : 3974

306- المجلد السابع ص 4050

نتخطف من أرضنا) كما أن السورة من خلال القصة
والعرض في قسميها تعطينا الكثير من القيم الإسلامية ،
ومن ذلك بعض القضايا التي تعتبر قضايا دستورية
كموضوع اللجوء السياسي في قضية موسى عليه السلام،
في ذهابه إلى مدين 000] . [307]
- وفي تفسير سورة الحجرات وتحت عنون : (كلمة في
السياق) يوضح الشيخ سعيد صلة السورة بمحورها وامتدادا
ته وارتباطاته من سورة البقرة وفي ذلك يقول [جاء
محور سورة الحجرات مسبوقا بقوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعـوا خطوات الشيطان
) [308])ومسبوقا بقوله تعالى (**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِين وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ
وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا
اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء
إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** {213}) وقد ظهرت آثار ذلك في
سورة الحجرات ،لأنه كما قلنا : السورة تفصل في محورها
وفي ارتباطاته وامتداد معانيه ،ولذلك قررت سورة
الحجرات قاعدة لا يكمل الإسلام إلا بها ، كما أكدت وحدة
الإنسانية في الأصل ،وأعطتنا الميزان الوحيد الذي على
أساسه يكون التفضيل عند الله (إن أكرمكم عند الله
أتقاكم) [309]0000]

****

وهكذا يتبين الارتباط بين آيات المحاور وغيرها من آيات
سورة البقرة كما تتضح لنا الإجابة على السؤال الذي
طرحناه عن سر تفصيل السورة بعد سورة البقرة في
آيات منها بلغت جملتها (52) آية من مجموع آيات سورة
وعددها (286) آية .
0وهو أن الآيات التي نالت حظا من التفصيل بوقوعها
محاور للسور بعد سورة البقرة لها صلاتها بباقي الآيات من
سورة البقرة .

307- الأساس المجلد السابع ص 4123
308- البقرة : 208
309- الحجرات : 13

خلاصة هذا البحث :

وفي نهاية هذا البحث يمكنني بعد هذه الدراسة التي قدمتها عن نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال الأساس في التفسير 0
أن أقدم هذه النتائج .

1 - أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم لمعرفة وجه هام من وجوه إعجازه ولمواجهة شبهات أعداء الإسلام التي أثاروها حول هذا الموضوع وللإعانة على فهم كلام الله عز وجل .

2 - من المفسرين من اهتم بهذا الموضوع بصورة موسعة من خلال كتبهم ومنهم البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، والألوسي في كتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) والرازي في كتابه (مفاتيح الغيب) والإمام أبو السعود في كتابه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم)
ومنهم من ألف فيه كتبا مستقلة كالإمام السيوطى في (تناسق الدرر في تناسب السور)
ومنهم من لم يعط هذا الموضوع حقه كالإمام الطبري والقرطبي وابن كثير في تفاسيرهم .
ومن المعاصرين الذين اهتموا بهذا الموضوع السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار ، و سيد قطب في ظلال القرآن ، وأخيرا الشيخ سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير .

3 - إن نظرية الوحدة الموضوعية التي وضحها الشيخ سعيد وتتبعها من خلال التفسير والتي تقوم على اعتبار أن سورة الفاتحة جامعة لمقاصد القرآن ، وقد فصلت سورة البقرة ما أجمل في سورة الفاتحة ، ثم جاءت سور القرآن بعد سورة البقرة لتفصل في معان واردة في بعض آيات سورة البقرة سورة البقرة ، هذه النظرية بعد أن قمت بدراسة التفسير وبالرجوع إلى كتابات السابقين في هذا الموضوع يمكنني أن أجزم بأن الشيخ سعيد لم يسبقه أحد من المفسرين ، في هذا الموضوع ، وإن النظرية على هذا الأساس لم ترد في كتب أخرى قبل الأساس في التفسير .

وعلى هذا فهي من المعالم البارزة لهذا التفسير .
ولقد أفادت هذه النظرية كثيرا في فهم القرآن ، وكشف لنا عن وجوه جديدة من أوجه الإعجاز القرآني في نظمه وأسلوبه .
4 – هذه النظرية مع أنها لا تخلو من التكلف إلا أنها جهد مشكور في خدمة كتاب الله تعالى ، وتسجيل لخواطر وتأملات الشيخ سعيد وجولاته في رحاب القرآن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه
أحمد الشرقاوي
عنيزة – كلية التربية للبنات
Sharkawe2000@yahoo.com